

تصوّف الغرب الإسلامي

كتاب حاسن الجالس أو بيان في مقامات السادة الصوفية

لابن العريف الصنهاجي

تقديم دراسة تحقيق وتعليق

أ. الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



24-22 شارع فيكتور ديجو - ص.ب. 4038
الهاتف : 022 30 78 44 / 022 30 78 76
فاكس : 022 30 66 11 - بناية الكهف 20040

تصوّف الغرب الإسلامي

كتاب محاسن المجالس

أو

بيان في مقامات السادة الصوفية

لابن العريف الصنهاجي

تقديم دراسة تحقيق وتعليق

أ. الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



34-32 شارع فيكتور ميغو - ص.ب 4038
الهاتف : 022 30 76 44 / 022 30 23 75
فاكس : 022 30 65 11 - الدار البيضاء 20500

الكتاب : كتاب محاسن المجالس أو بيان في مقامات السادة الصوفية
تأليف : أ. الدكتور محمد العدلوني الإدريسي
الطبعة : الأولى 1436 هـ / 2015 م
النشر : دار الثقافة - الدار البيضاء
الحقوق : © جميع الحقوق محفوظة
الطبع : مطبعة صناعة الكتاب - الدار البيضاء
الإيداع : للقانوني رقم 2015 MO 0390
ردمك : 978-9954-613-26-9

إهداء

من

محقق محاسن المجالس

إلى

كل من جمعنا بهم أوقات الله في أفضل المجالس

إهداء

إلى القانونية المتميزة

الأستاذة

نحيل نعيمة

مع

كامل التقدير

القسم الأول

مقدمة التحقيق

مقدمة التحقيق

الفصل الأول : المؤلف

الفصل الثاني : الكتاب موضوع التحقيق

الفصل الثالث : النسخ الخطية ومنهج التحقيق

الفصل الأول

المؤلف

أولاً : عصر ابن العريف التاريخي والفكري والتصوف في عصره وفي تجربته :

1 - عصر ابن العريف التاريخي والفكري.

2 - التصوف في عصره.

3 - التصوف في تجربته.

ثانياً : حياته وآثاره :

1 - حياة ابن العريف الزمانية والفكرية.

2 - أساتذته، تلامذته وآثاره.

أولا : عصر ابن العريف التاريخي والفكري والتصوف في عصره وفي تجربته

1 - عصر ابن العريف التاريخي والفكري.

عاصر " ابن العريف " مثله مثل مواطنه وشيخه كبيره " ابن برجان " قيام الدولة المرابطية، من بداية تأسيسها إلى قرب انحطاطها، عاش في كنفها وتحت حكم أمرائها : "أبو بكر عمر" (ت 480هـ)، و"يوسف بن تاشفين" (ت 500هـ)، و"علي بن يوسف" (ت 527هـ).

وقد شهدت هذه المرحلة - على قصرها نسبيا - عدة أحداث سياسية واجتماعية وفكرية، عايش ابن العريف، من قريب أو بعيد، أهم تجلياتها وكان طرفا فاعلا من بين صنّاعها.

بدأ نجم ابن العريف يطلع في سماء الفكر الأندلسي والمغربي، وبدأت أخباره حديث الأوساط السياسية والعلمية إبان حكم "علي بن يوسف بن تاشفين". وهي فترة من أصعب الفترات في تاريخ الدولة، والتي تميزت بضعف سياستها الداخلية والخارجية وانفلات أمور البلاد من بين أيدي حكامها، توالي الثورات عليها، إلى أن وقعت نهائيا.

ومن العوامل التي يذكرها المؤرخون، المتسببة في انحطاط الدولة المرابطية : غلطة "يوسف بن تاشفين" وغفلته عن أمور البلاد الشاسعة الداخلة تحت إمرته، وجهله بمقومات تسيير دقّة الحكم، وعدم الموازنة بين القوى المؤثرة في البلاد، من بين القبائل ذات النفوذ.

أضف إلى ذلك لين ابنه "علي" وضعف مواقفه في حسم أمور ديوانه، وعجزه عن القيام بشؤون الدولة وتسيير دواليبها كما يجدر به. الشطط في استعمال السلطة، وتسلب جند الدولة بجفاء مظهرهم وفضاضة طبعهم على الرقاب، وترهيبهم للناس، وسلبهم لخيرات البلاد وممتلكات العباد، والإفراط عليهم. وكذلك استيلاء النساء على أمور الدولة وغلبتهن على رجالاتها، دون أن تكون أغلبهن مؤهلات لذلك. فكثرت المكائد السياسية وتصفية الحسابات. وكانت لسطوة الفقهاء وتسلبهم على مقاليد البلاد أثر آخر من مؤثرات تسريع وثيرة فقدان المرابطين السيطرة على زمام الإمبراطورية.⁽¹⁾

أضف إلى ذلك اضطراب الأمور بالأندلس وسحب عدد كبير من القوة المرابطة إلى المغرب، اضطراب شؤون التسيير والإدارة وعدم وجود رجال أكفاء عليها، وتأجج الخلاف بين القبائل المساندة للدولة، إثقال كاهل الشعب بالضرائب واستعمال القوة المفرطة في جبايتها. وكذلك تدهور الأوضاع الاقتصادية والصناعية والزراعية بفعل الجفاف والمجاعات واشتداد دعوة المهدي الموحي في ثورته، وتكالب الممالك النصرانية وتكاثر هجوماتها على الحواضر الإسلامية بالأندلس، وعجز المرابطين عن الدفاع عنها. زد على ذلك عدم قدرة الدولة على ردع حركة المريردين المتطرفة في غرب الأندلس بزعامة "ابن قسي"⁽²⁾.

وعلى الرغم مما عرفته هذه المرحلة من اضطراب وانعدام الأمن وغياب هبة الدولة، إلا أننا نجد من الناحية الفكرية ونظرا لمجهودات المرابطين، في عنفوان قوتهم، على ترسيخ بعض مظاهر الثقافة وإقامة مجالس العلم، والتسامح مع التيارات الفكرية المختلفة، رغم التشديد على الأخذ بالمذهب المالكي، والانقطاع

(1) أنظر من المؤرخين مثلا : المراكشي عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 260 ط 1 سنة 1978 تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. وابن القطان، كتاب نظم الجمان تحقيق د. محمود علي مكي.

(2) أنظر حول أسباب انحطاط الدولة المرابطية. مثلا "الحلل الموشية"، نظم الجمان "المعجب"، و"الأندلس في نهاية المرابطين".

لنوع خاص من العلوم، ورفض البدع والأهواء المتطرفة خاصة تحت حكم "يوسف بن تاشفين" (1). عرفت هذه المرحلة من الناحية الفكرية ازدهاراً ملحوظاً في غالب مجالات العلم والمعرفة، رغم الرقابة والمنع الذي مارسه المرابطون على العلوم العقلية والنظرية، ونبذهم الخوض في علم الكلام والفلسفة والمنطق، وتشجيعهم لعلم الفروع ومساندتهم لفقهاءه، ورفضهم لما سواه وتضييقهم على الفقهاء المخالفين لهم. كل هذا لم يمنع من ترويج علوم أخرى تداولها فقهاء وعلماء معارضون : كأصول الفقه والتصوف، النظري منه على الخصوص، وعلم التوحيد، والفلسفة والأدب.

وهكذا برز في علم الكلام أسماء كثيرة مثل "أبي بكر المرادي" وتلميذه "يوسف بن موسى الكلبي" شيخ "القاضي عياض" و"أبي القاسم المعافري السبتي" (2). وفي ميدان محبة الحكمة طفح اسم "ابن باجة" المعروف "بأبن الصائغ". وفي الطب وعلم الفلك اشتهر اسم "أمية بن عبد العزيز أبي الصلت" وابنه أبو مروان عبد الملك المعروف بابن زهر، من أَجَلِّ وَأَفْهَمِ أطباء الأندلس، وهو أستاذ ابن رشد الطبيب والفيلسوف (3).

وفي اللغة وآدابها وعلوم اللسان سطع اسم "الحسين بن طريف السبتي". أما في علوم الحساب فاشتهر إسم "ابن مرانة السبتي" وتلميذه "ابن العربي السبتي"، وفي علم التاريخ "أبو بكر يحيى بن الصيرفي".

وفي التصوف برز اسم كل من "ابن برجان" و"ابن العريف" (4) و"الميورقي"، وهم أقطاب التصوف بالأندلس على عهد "علي بن يوسف" والذين نكبوا بأمر منه بعد وشاية من طرف بعض فقهاء وممثلي السلطة بشرق الأندلس، كما سيأتي توضيحه.

(1) يقول المراكشي في المعجب ص255 «انقطع إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصر...».

(2) أنظر مقال د. عباس الجراري "التيار الفقهي".

(3) أنظر كتاب "عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس" "محمد عبد الله عنان" ج1 القاهرة 1964م، ص274.

(4) أنظر في ذلك "المغرب في حلى المغرب" ج2 ص118.

أما عن علاقة ابن العريف بأمراء المرابطين وحكامهم وموقفه من سياستهم ومن سلوك فقهاءهم وقضاتهم، فتطلعنا المصادر أنه لم يثبت عليه أنه هاجم عواهلها، ورسائله إلى جماعة المريدين بقرطبة توضح ذلك. ففي اعتقاده أن أشد أنواع الإنكار، هو الإنكار على السلطان : « لأنه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عمله إلا بشرط، منها : الستر والسّر والرفق والعلم الكامل وسلامة النية وأن لا يُراد بذلك إلا وجه الله وحده »⁽¹⁾.

كما أن الإنكار على أولي الأمر والنهي عن المنكر علانية هو دعوة إلى الفتنة، لأن : « الإنكار في العلانية على الحكام ... من فساد سرّ المُنكَر، وإعلام ركونه للحرام أو الكراهية. والمختار عند العلماء باتفاق منهم، الإمساك عما في إنكاره إياه منكرًا مساويا أو أشد ... »⁽²⁾.

بينما كان هجومه قويا على بعض فقهاء عصره، الذين انحرفوا عن الطريق السوي، وتقاعدوا عن خدمة الناس ورد الحقوق إلى أصحابها، وإصدار الفتاوى الزائفة، ومساندة الحاكم الجائر، واكتناز الذهب والفضة، والتطاحن على المناصب وارتقاء الدرجات الدنيوية. إذ أسماهم بـ « علماء أهل السوء وكبراء أهل الدنيا المغرورين »⁽³⁾.

وقد كان لنقده هذا، خاصة ذلك الذي وُجّه إلى الفقهاء والقضاة أثر مزدوج : فمن جهة رسخ مكانته بين الناس وعمق حبهم له، وأصبح ذا شهرة كبيرة بينهم، لاهتمامه بقضاياهم الاجتماعية وهمومهم ومشاكلهم الوجودية، ولعدم سكوته على الظلم ودفاعه عن تحقيق الحق، ونصرة الدين وتعميق النظر في وجدانياته وروحانياته، مما عَظَّم من تعاطف الأفراد والجماعات معه، وإظهار تدميرهم من سلوك طبقة الفقهاء والقضاة.

(1) أنظر الرسالة الموجهة إلى أبي عبد الله بن يوسف، الرسالة السادسة كتاب مفتاح السعادة ص 170.

(2) أنظر من رسالة ابن العريف إلى أبي محمد عبد الغفور، كتاب مفتاح السعادة ص 198.

(3) نفس المصدر ص 99.

ومن جهة أخرى أثار هذا النقد، وكذلك المكانة التي تبوأها بنين مريديه وبين طوائف من التابعين والمعجبين، غضب وحنق وحسد بعض القضاة والفقهاء، فأنكروا عليه مذهبه واتهموه بما تورط فيه بعض مريديه⁽¹⁾. وأقاموا عليه حملة شعواء، وعملوا على تنسيق الهجوم العنيف ضد مذهبه، وتآليب السلطة عليه، على الرغم مما تتسم به رسائله إلى مريديه من التزام بالكتاب والسنة ومثابرتة على ذلك. وقد تزعم هذه الحملة "القاضي أبو بكر محمد بن الأسود" (توفي سنة 536هـ)⁽²⁾، الذي أرسله مقيدا للمثول بين يدي "علي بن يوسف" على نفس السفينة التي أبحرت إلى سبتة بالإمام "ابن برجان" و"أبي بكر المايورقي"⁽³⁾.

ويبدو أن ابن الأسود، حسب ما ذكره التادلي، لم يكن له أمر من طرف الأمير "علي" بإحضار "ابن العريف"، لأنه عندما علم بإشخاصه إليه غضب على تسرعهم، وأعطى أوامره بتسريحه وتكريمه، إما كان يعلم من فضله وصلاحه⁽⁴⁾. لكنه أمر بجلد أبي بكر الميورقي ووضعه في السجن، بينما غضب بشدة من أبي الحكم بن برجان، لتورطه في أحداث المريدين، ولمبايعته بالإمامة في عدد كبير من مدن شرق الأندلس⁽⁵⁾.

(1) وهذه المسألة قد جعلته يتفطن إلى ما يحاك ضده خاصة بعدما قام به بعض المتطرفين من المريدين ثَوَّجَتْ بثورة على المرابطين. وهذا ما جعله يكتب رسالة تبين توجس ابن العريف من النظام القائم بقوله: «سال سيل الفتنة ونحن طريقه، وعش ليل المحنة وفينا فريقه، وانخسفت الأرض، فيما المسيء والبريء، فعمم الله العدل فيما جاء». (مفتاح السعادة ص 180)

(2) وهو "محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد محمد بن عمر بن الأسود" من أهل الميرية عين قاضيا بها يوم الخميس 8 شعبان 521هـ. توفي بمراكش بعد نكبته سنة 536هـ في نفس السنة التي توفي بها "ابن العريف". له تأليف في شرح القرآن، واعتناء بالحديث. أنظر ترجمته الكامل في "المعجم" "ابن الأبار"، ترجمه 116 ص 130.

(3) يذكر ابن عبد المالك في الذيل والتكملة، السفر 6 الترجمة 452 ص 163: أن الأمير علي بن يوسف عفا على المايورقي وأمر بتسريحه فعاد إلى الأندلس موطنه وبعدها إلى الجزائر وتوفي ببجاية سنة 536هـ في نفس السنة التي توفي فيها ابن برجان وابن العريف.

(4) أنظر التشوف رقم الترجمة 18 ص 119.

(5) ابن عبد المالك الذيل والتكملة سفر 6 ترجمة 452 ص 169.

ولتورط ابن الأسود في موت ابن العريف يذكر المؤرخون أن علي بن تاشفين أمر بأن يموت بنفس الطريقة التي تسببت في مقتله⁽¹⁾.

2 - التصوف في عصر ابن العريف :

التصوف بالغرب الإسلامي على عهد ابن العريف بلغَ مرحلة هامة من تطوره، فبعد فترة ابتدائية ساذجة، ارتبطت بالزهد والرياضة وحياة المجاهدة، ستتوج بأول مدرسة صوفية فلسفية برئاسة " ابن مسرة الجبلي " (ت 319 هـ)، الذي كان أول من اهتم بقضايا الزهد والتصوف في حدوده الأولية، المدعم بالآراء الكلامية والفلسفية والعقائد المختلفة الوافدة على الأندلس. وقد امتدت هذه المرحلة من حوالي سنة 450هـ إلى سنة 560هـ، حيث قيام أهم مركز صوفي في شرق الأندلس، وخاصة في مدينة ألميرية.

وتدعى هذه الفترة بالوسطى، على أساس أن نفس المنطقة ستعرف مرحلة متأخرة، تم فيها نضج التصوف مع رواد كبار كابن العربي الحاتمي وابن سبعين الغافقي وأبي الحسن الششتري.

ويتجلى التطور الذي عرفه التصوف في مرحلته الوسطى على عهد ابن العريف : في التنظيم المنهجي والتنسيق النظري بين القضايا الفقهية، والآراء الكلامية، والأفكار الفلسفية، والتجارب الروحية، ومحاورة المقامات والأحوال الصوفية، مع الاهتمام بالشؤون السياسية والخوض في غمارها. والانتقال بالتصوف من مدارجه الأولى إلى تصوف مكتمل المعالم أسلوباً ؛ حيث أصبحت لغة التصوف لغة اصطلاحية، وطبعت بطابع الخصوصية والنخبوية. وموضوعاً ؛ حيث بدأ اهتمام التصوف بمباحث الوجود والمعرفة والقيم الجمالية والأخلاقية. ومنهجاً ؛ إذ صار المتصوفة يتناولون قضاياهم الذوقية بشكل يظهر فيه استعمال العقل والحكمة المنطقية، من تأمل وتحليل ونقد وتركيب بشكل يُغلف فيه الوجدان أسس البرهان.

(1) ذكر صاحب التشوف (نفس المصدر، ونفس الصفحة) أن ابن الأسود حقد على ابن العريف لما حصل عليه من حُصُونَةٍ عند السلطان، فسأل عن أحب الطعام إليه فقبل له الباذنجان، فصنعه وعمل فيه السم، واحتال عليه إلى أن أكله فمات، فلما علم السلطان بما كان من ابن الأسود في جانب ابن العريف قال : لأعذبه ولأسممه كما فعل بابن العريف : فبعثه إلى السوس الأقصى وأمر أن يسقى سما هناك، فنَقَذَ ما أمر به فمات.

ويمكن اعتبار مدينة ألميرية بهذه المرحلة التاريخية، من أكبر المراكز الفكرية بالعالم الإسلامي ؛ للمكانة المتميزة التي كانت تتبوؤها، إن على المستوى الاقتصادي أو الفكري أو الاجتماعي، لكونها أول وأهم موانئ الأندلس، ولدورها الجهادي في الإسلام ؛ فهي مدينة الإسلام بحق⁽¹⁾. كما أنها مركز للتصوف والعلوم الفقهية، ولعبت دوراً رائداً في تطور العلوم الدينية : كعلم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، وترويج الأفكار والعقائد الوافدة من البلاد المختلفة.

والواقع أن منارات التصوف كانت تشع من جل المدن الأندلسية، مُشكِّلة حزاماً من شرق البلاد إلى غربها. لكن تبقى مدينة ألميرية المركز الأساس للوجود الصوفي. ويبدو من خلال الرسائل التي تبادلها ابن برجان مع ابن العريف وشيوخ صوفيين آخرين⁽²⁾، أن القوم كانوا أجنحة مختلفة الآراء والأفكار، لكن الصلات بينهم سواء منهم متصوفة الشرق بـ"بلنسية" و"ألميرية"، أو متصوفة الوسط بـ"قرطبة"، أو متصوفة الغرب بـ"إشبيلية" و"شلب"، كانت متينة وعميقة.

فإن كان أغلبهم ملتزمين بالكتاب والسيرة النبوية العطرة، مثل "أبي الحسن بن غالب"⁽³⁾ و"أبي محمد عبد الجليل القصري"⁽⁴⁾ و"أبي عبد الغفور"⁽⁵⁾. وعلى رأس هؤلاء جميعاً "ابن العريف" الذي كان يؤكد على أصحابه من المريدين الالتزام بالسنة⁽⁶⁾.
فإن جماعة منهم كانت ذات اتجاه ظاهري، (على مذهب داود) ومن رُواده : "أبو عبد الله محمد بن خلف الشبوقي"⁽⁷⁾. وعلى رأس هذه الجماعة "أبوبكر محمد بن الحسين الميورقي"⁽⁸⁾.

(1) أنظر عن تاريخ مدينة ألميرية السيد عبد العزيز سالم، بيروت 1969 ص 87 ومن بعدها.

(2) أنظر الرسائل التي نشرها بول نوي :

Paul Nwiya "Note sur quelques fragments inédites de la correspondance d'Ibn Al Arif avec Ibn Barrajan. H.Hesperis 1956, 2ème T, PP. 217 - 221. "

وكذلك الرسائل الواردة في كتاب مفتاح السعادة لابن العريف.

(3) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير ترجمة 201 ص 99.

(4) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير ترجمة 44 ص 30.

(5) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير ترجمة 52 ص 37.

(6) أنظر مفتاح السعادة، الرسائل.

(7) ترجمته بالذيل والتكملة ترجمة 498 ص 181.

(8) ترجمته بالذيل والتكملة ترجمة 452 ص 169، والمعجم ترجمته 123.

وتبقى أخطر جماعة، تلك التي تمثل الجناح المتطرف، والتي تضم جماعة من المولدين ذات الأهداف السياسية المعادية للمرابطين، المنادية بالأندلس للأندلسيين، ولا شك أنها امتداد لتلك الدعوات التي سادت في عهد الخلافة الأموية.

هذا الجناح كان يميل إلى المذهب الباطني وقول أصحابه بالقطب والأبدال، كما كان الإسماعلية الرافضة يقولون بالإمام والنقباء. كما أشبعوا أقوال الشيعة في المهدي المنتظر⁽¹⁾. وكان رأس هذه الجماعة ابن قسي (ت 546هـ)⁽²⁾ صاحب كتاب خلع النعلين.

وقد استطاع ابن برجان من جهة وابن العريف من جهة أخرى ؛ الأول باعتباره الإمام القطب، والثاني باعتباره الرجل الثاني في المشيخة الصوفية بالأندلس، استطاعا أن يوازنا بين هذه التيارات المتضاربة وخلق الانسجام بين أجنحة الطوائف الصوفية، وأن يَحْدَا من تطرف الباطنية ولو إلى حين.

ويمكن أن نجمل العوامل والأسباب التي تضافرت من أجل انتشار التصوف وبرز مركزية مدرسة ألميرية فيما يلي :

أ - أن التصوف لم يأت انتشاره في هذه المنطقة وعلى هذا الزمان بشكل عفوي، بل حدث عن قصد ووعي لحاجات الناس وخاصة بعد سقوط الخلافة بالأندلس وغياب قيادة قادرة على حماية البلاد والعباد، مما دفع ببعض الجماعات وعلى رأسهم العباد والزهاد والمتصوفة إلى الجهاد، سواء منه الأخلاقي الفكري أو الآخر الكفاحي المسلح، وكونوا تنظيمات داخلية محكمة، فعمت بذلك التيارات الفكرية

(1) ابن خلدون كتاب المقدمة، ص 323. دار الفكر (د.ت).

(2) أنظر ترجمته الكاملة في :

أ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، طبعة سلا، تحقيق الفاسي ص 126.

ب - الأعلام ج2، الرباط 1974 ترجمة 127، ص 58.

ج - أعمال الأعلام لابن الخطيب، طبعة بيروت ص 248 - 249.

المتطرفة من باطنية وظاهرية وغيرها⁽¹⁾. وقد ظلوا على ذلك حتى بعد قيام الدولة المرابطية⁽²⁾.

ب- ما عرفه المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف الأول من انحلال ديني وخلق، امتد إلى عهد حكم المرابطين الذين لم يستطيعوا تبديل الحياة المترفة المأجنة التي تعودها الأندلسيون، مما دفع ببعض الناس إلى التزهد والتصوف بعيداً عما يجري.

ج - سطوة الفقهاء وسيطرتهم على المجال الديني والديني، جعل ظهور المتصوفة ونضح قضاياهم الذوقية والروحية، أشبه بالتمرد السياسي والديني ضد التزمّت والحضر الفقهي.

د - نضج الفكر الفلسفي الأندلسي ودوره في طبع التصوف بطابع نظري متميز.
هـ - المؤلفات الصوفية والفلسفية على اختلاف أصولها، لعبت دوراً تكوينياً وحركياً فاعلاً، في بروز الصوفية بالأندلس عامة والميرية خاصة. ومن أهمها :
"رسالة القشيري" وكتاب "أبي طالب المكي" "قوت القلوب" وكتاب " المحاسبي"
"التحبير في التذكير"؛ وكتاب يومن بن رزق " الزهد". وكتاب "منازل السائرين"
للهروي وكتب " الغزالي" وخاصة كتاب "إحياء علوم الدين"، الذي كان موضوع خلاف وفتاوى وإحراق من طرف فقهاء المرابطين والحكام المساندين لهم.

وكذلك كتب "ابن مسرة الجبلي": "التبصرة" و"الحروف"، و"ابن السيد البطلوسى":
" الحقائق في المطالب العالية الفلسفية".

وكتاب "أبي الصلت بن أمية" في المنطق : "تقويم الذهن". وكتاب "ابن طفيل": "حي
بن يقطان" وكتاب " ابن باجة": " توحيد الموقنين". بالإضافة إلى كتب "أفلاطون"
و"أرسطو" و"الفارابي" و"ابن سينا"، المُفَعِّمة بالآراء والنظريات الفلسفية اليونانية
والمشرقية في الوجود والمعرفة والقيم.

(1) ارجع إلى : Dominique Urvoy : une étude sociologique des mouvements religieux; dans l'Espagne musulmane de la chute du califat du milieu du XIII, Paris 1972 P235.

(2) حول صوفية المجاهدة، أنظر مقال د.حسين مؤنس : الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى. مجلة المعهد المصري، مدريد 1981.

3 - تجربة ابن العريف الصوفية :

مذهب "ابن العريف" الصوفي مذهب سني معتدل يقتفي آثار السلف الصالح المهتدى بهديهم، شديد التمسك بكتاب الله وسنة نبيه. وهو في ذلك ينحو منحى إمامه "ابن برجان" في التأكيد على أصحابه المريدين في حلقاته ورسائله، بالالتزام بالسنة قولاً وفعلاً، متخلقا بأخلاق نبيه ذي الخلق العظيم، خلق القرآن الكريم. ولهذا كان يحذرهم ويحثهم على الابتعاد عن النزعات الهدامة المضلة⁽¹⁾.

غير أن هذا لا يمنع من القول بأنه كان كغيره من متصوفة هذه المرحلة، وإن كان يأخذ بمبادئ السنة، يأخذ في الباطن بآراء الفلسفة عند خوضه في مباحث الوجود والمعرفة والقيم الأخلاقية، ويضمنها آراءه الصوفية، إن على المستوى الوجودي (الله والكون والعلاقة بينهما) أو الإستمولوجي العرفاني (المعرفة الذوقية الباطنية وأدوات تحصيلها).

وقد سن طريقة جديدة للحياة الروحية تستند إلى الحكمة الإلهية عند ابن مسرة⁽²⁾ تجلت في علاقته مع مريديه وانعكست على آرائه في الزهد⁽³⁾ ومبحثه في المعرفة، ورأيه في أن الله أصل كل شيء وحقيقة كل موجود⁽⁴⁾.

(1) يقول ابن العريف في مفتاح السعادة ص 91 : «المذموم على الحقيقة ما ذمه الله ورسوله، وأضافه بلسان الشرع : الكفر والأهواء والمعاصي، وإيثار الدنيا على الآخرة، وإذا أنعم الله على العبد أن يكون الإيمان شعاره، والسنة دثاره، والطاعة داره، والزهد في الدنيا عن اختيار الآخرة قراره، فقد أحبه، والسلامة من كل ما ذمه الله ورسوله في السلامة من ستة مذاهب أنكرها الدين وذمها، وهي السموم القاتلة، ولا بد لمن تعلم العلم من معرفتها وتمييزها :

- مذهب التقليد المذموم بالسنة العلماء المشابهة للقدوة والاتباع وليس به.

- مذهب القياس المذموم

- مذهب التعلق ... قوله تعالى : { ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين } . (ص : 86).

- مذهب الفلسفة ...

- مذهب الظاهرية ...

- مذهب العبث ... في قوله عز وجل : { وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا } (الأنعام : 70)

(2) أنظر كتاب «تاريخ الفلسفة الإسلامية ص 335 ط 1966 تأليف هنري كوربان، ترجمه نصير مروة، حسن قبيسي.

(3) أنظر رأيه في الزهد وتمييزه بين زهد العوام وزهد الخواص بكتابه محاسن المجالس.

(4) يقول في كتابه مفتاح السعادة ص 82 : «... إنك أنت الله في حقائق محض التحصيل، وبأنك أنت الله بكل وجه من وجوه الجملة والتفصيل ... أنت الله على كل حال من أحوال الجد والتعويل، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد والند ... والنقص والنظر، وبأنك أنت الله الذي { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } (الشورى : 11).

كما أنه دشّن حركة الحب الإلهي في الشعر، على اعتبار أن (الحب الإلهي) هو سرُّ خلق العالم، وأنه لا يدرك ذلك إلا الخواص من الصوفية، لأن في محبتهم تَظْهَرُ لهم حقيقة الوجود وسر الخلق⁽¹⁾.

ويعد مبحث المعرفة الصوفي أهم ما يميز تصوف "ابن العريف"، وخاصة المنحى النقدي الذي انتهجه، من أجل التمييز بين أصناف الطالبين، وإبراز الفرق بين العلم والمعرفة.

ويمكن الاطلاع على آرائه الصوفية من خلال ثلاث مصادر هامة :
- "محاسن المجالس" الذي كان موجهاً، كما سَنَبَّيْنُ ذلك، إلى خاصة الخاصة، القائمين بمهمة التذكير، والهادف إلى تسهيل الطريق الصوفي على المريد.
- "مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة"، الذي ضمنه آراءه وأشعاره وخواطره وأدعياته ورسائله الذوقية.

- و"الفتوحات المكية لابن عربي"، الذي تضمن آثاراً كثيرة من آراء "ابن العريف" كاستشهادات تدعم أطروحته في الوجود والمعرفة وفي قضايا صوفية أخرى⁽²⁾.
ويظهر الطابع النقدي الذي انتهجه "ابن العريف" واضحاً في محاسنه ومن خلال رسائله المتضمنة في "مفتاح السعادة"، فعن نقده لوسائل المعرفة المتخذة من طرف غير الصوفية، يرى في مقالته حول "النفس والعقل واحتقارهما" :
« إن الذي يصد بواعث القلوب عن تحقيق ما تذكره الألسن من المودة والمحبة نفس تخاف وعقل يعاف، وليس عند النفس إلا الرياء والجهل، ولا عند العقل إلا الرياسة والدهاء. فإن النفس من شأنها أن تكتُم عيوبها وتَجفُو من يرى عيوبها، والعقل يداهي ليظهر أنه يتناهى وفي مثلها تخرص الأقلام والألسن⁽³⁾ ».

(1) لأن المحبة عند الخواص من الصوفية، «محبة خاطفة تقطع العبارة وتدقق الإشارة ولا تنتهي بالنعوت، ولا تعرف إلا الحيرة والسكوت» (محاسن المجالس). وقد نَظَرَ ابن عربي في كتابه «فصوص الحكم» للمحبة باعتبارها من جهة أساس خلق الله للعالم بقول «كن» وهو أساس معرفة أحبائه له بالتقرب : أنظر الفصل الأدمي ص 48 وما بعدها. تحقيق أبو العلا عفيفي ط2، 1980م.

(2) لمعرفة المواضع التي أشار فيها ابن عربي لابن العريف وآرائه الصوفية، ارجع إلى الملحق الخاص بذلك في آخر الكتاب، وكذلك الفتوحات المكية ج 1 ص 93، ص 175، 228. ج 2 ص 86، 290، 318، 325. ج 4 ص 313، 580.

وفي هذا دعوة إلى كل من يعمل العقل ويستعين برُفقائه من نفس وجسٍّ، من أجل الخوض في حقيقة الربوبية، إلى إبعاد النظر العقلي عن ميدان لا سبيل إليه بالعقل، لأنه من غير مجاله وفوق طاقته. ويحذرهم من اتباع مناهجه، لأنها في نهاية مطافها لا تؤدي إلا إلى طريق مغلق كله وهم وضلال وجهل، ويحثهم على خوض التجربة الروحية وصقل مرآة القلب وتهييء الباطن لتلقي المدد الإلهي.

لكن لا يجب أن يفهم من ذلك أنه يرفض العقل جملة وتفصيلاً، ولا يعطيه أي دور في حياة الإنسان المعرفية، بل كان يضع العقل في موضعه ويحدد له دوره الحقيقي، لكن دون أن يَنْفِي عجزه عن إدراك الحقيقة المطلقة. فالعقل عنده يحتل المرتبة الخامسة من المراتب التي بها قوام الإنسان. يقول : « الأنوار الخمسة : نور البصر ويمده نور الشمس، فهو يحيى بمتابعته ويموت بمعارضته ومناقضته. ونور العقل ويمده نور التجربة. ونور القلب ويمده نور الكتاب والسنة، وموافقة كافة المطيعين بالحقيقة للكتاب والسنة. ونور الفطرة، ويمده نور الإيمان. ونور الإرادة ويمده نور حقيقة الحق»⁽¹⁾.

وكما يبين قصور العقل والنفس في بلوغ اليقين يتجه نحو آلية التأويل لفحصها وتبيان صحتها من فاسدها، فيرى أن كل من : « تأول من الدين تأويلاً يؤدي العمل ما دون الوجهين فهو ظاهري، ومن تأول شيئاً من الدين تأويلاً خارجاً عن حكم ذلك الشيء وحكمته والمعروف المشهور المتصور من أمره فهو الباطني، وكلاهما تالف إلا من عصم الله تعالى »⁽²⁾.

وهذا يقتضي من المتأول للنصوص الدينية أن يكون ناهجاً طريق المكاشفة، لأن التأويل العقلي أداة احتمال لا يقين، قدرته محدودة على بلوغ الحق، بينما التأويل الصوفي أو المكاشفة لا يتم فيها إقصاء الظاهر على حساب الباطن ولا الباطن على حساب الظاهر⁽³⁾.

(1) مفتاح السعادة : ص 105.

(2) نفس المصدر : ص 169 من رسالة ابن العريف إلى جماعة قرطبة.

(3) أو على حد تعبير الشيخ الأكبر الذي كثيراً ما كان يستلهم آراء ابن العريف : «الظاهر والباطن أخوان مزدوجان لا ينفصلان، فمن عرف الواحد عرف الآخر». (كتاب الشاهد، ضمن رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي ط 1 ج 1 ص 17، بيروت (د.ت))

ومن مميزات نظرية "ابن العريف" الصوفية ذات الملامح الثيوصوفية (التي تهتم بالحكمة الإلهية) هو تقسيمه الناس إلى فئات : علماء ومريدين وعارفين، واضِعاً بذلك أسس نظريه المعرفة الصوفية، معتبراً أن موضوع المعرفة الحق هو الله ليس سواء، وأن العارفين الخلص هم الذين يجتهدون ويجتهدون في سلوك الطريق إليه.

والتوحيد هو أول تلك المعرفة وآخرها وأعظم نتيجة لها، يقول : «المعرفة حجتى، والعلم محجتى، فالعالم يستدل إلي والعارف يستدل بي فالعلماء لي والعارفون بي. علق العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، والعارفون بالهمم، والحق وراء ذلك كله، ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت إلا الأزل، وما يبقى فعمى وتبليس. فالأعمال للجزاء، والأحوال للكرامات، والهمم للوصول، وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم ...»⁽¹⁾.

ولكي نستوعب التفرقة التي أقامها "ابن العريف" في هذا النص، بين العلماء الذين يتعلقون بالفكر والنظر فيما عِلِمُوهُ من ظاهر الشرع، والمريدون الذين ينصرفون إلى الأحوال، والعارفون العالقون بالهمم⁽²⁾. لا بأس أن نوضح بعض المنطلقات الفكرية الصوفية :

أ - الصوفية يعتبرون أنفسهم أنهم حُماة الملة العارفون بحقيقتها، ولذا يميزون بين الدين بمعناه الظاهر الذي هو مظاهر ورسوم، وبين الدين في كنهه ؛ الذي يتصل بأحكام الباطن وأعمال القلوب⁽³⁾. أو على حد تعبير القشيري : إذا كانت الشريعة أمراً بالتزام العبودية من حيث أنها مناط تكليف الخلق، فإن الحقيقة مشاهدة الربوبية وإنباء عن تصريف الحق⁽⁴⁾.

(1) محاسن المجالس : فصل المعرفة. وهو في هذا متأثر بالغزالي الذي كان يرى أن حقيقة معنى المعرفة كمصطلح صوفي متميز عن العلم وذلك في قوله : « المعرفة هي العلم الذي لا يقبل الشك، إذا كان المعلوم ذات الله تعال وصفاته». (أنظر كتاب "ميزان العمل" مكتبة الجندي، القاهرة، ص175).

(2) الهمم : ج همة، وهي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحية إلى جانب الحق لحصول الكمال وانكشاف الحجاب. (تعريفات الجرجاني).

(3) تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية القاهرة 1966 ج 1 ص304.

(4) الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي (د.ت) ص 40. فقرة المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والفناء.

ب - الشريعة في نظر الصوفية وغيرهم من الخواص جانبان : ظاهر (للعمل) وباطن (للمعرفة)، وللتلقي من الظاهر إلى الباطن ومن الشريعة إلى الحقيقة لا بد من قطع الأحوال أو على حد قول أبي يزيد البسطامي : «للخلق أحوال ولا أحوال للعارف لأنه مُحيت رسومه بهوية غيره»⁽¹⁾.

ج - إن العرفان يتميز بكونه ليس عملاً من أعمال العقل والجوارح كما في الشريعة، ولا عملاً من أعمال العقل والمنطق كما في الفلسفة. وإنما هو عمل من أعمال الإرادة، باعتباره الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق وباعتباره كذلك ابتداء المحبة وصفة تجلي علم الحق⁽²⁾. فعن طريق الإرادة تتم معرفة الصوفي المحقق بالله، معرفة ذوقية قلبية مختلفة تماماً عن المعرفة الناتجة عن ظاهر الشرع أو عن المعرفة العقلية المنطقية. فعن طريق الإرادة يتم التحول الذي ينشده الصوفي العارف، والترقي إلى مرتبة شهود الله والفناء فيه.

انطلاقاً من هذه الحقائق يرى "ابن العريف" أن المتصوف العارف هو الذي يستطيع أن يتجاوز مرحلة الرسوم الشرعية التي يتعلق بها العوام، بل أكثر من ذلك، إنه هو الذي يستطيع أن يتجاوز مرحلة الأحوال والمقامات التي يتعلق بها المريد، ليتم له الشهود. فالشهود هو الغاية القصوى للصوفي العارف، حتى إنه لا يشاهد في الكون سوى وجه حبيبه⁽³⁾، ويختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه، ولا يبدو له في الوجود إلا هو. أو كما أنشد⁽⁴⁾ :

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ عَنْكَ اخْتِامُهُ	وَلَاخَ صَبَاحٍ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُهُ
فَأَنْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ	وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبَغْ عَلَيْهِ خِتَامُهُ
فَإِذَا غَبَتْ عَنْهُ حَلٌّ فِيهِ وَنَصَبَتْ عَلَى	مَنْكَبِ الْكُشْفِ الْمَصُونِ خِيَامُهُ
وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يُمَلُّ سَمَاعُهُ	شَهِي إِلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ

(1) نفس المصدر ص 167.

(2) انظر معجم المصطلحات الصوفية، د. حنفي.

(3) ذكر ابن عربي هذا القول لابن العريف بمناسبة الحديث عن المحبة والشهود، الفتوحات المكية ج 2 ص 325.

(4) ابن العريف : محاسن المجالس.

أو كما قال كذلك (1) :

رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي	فَقُلْتُ لَا شَيْءَ أَنْتَ أَنْتَا
أَنْتَ الَّذِي حُزْتُ كُلَّ أَيْنَ	فَحَيْثُ لَا أَيْنَ تَمَّ أَنْتَا
وَحُزْتُ حَدَّ الدُّنُوِّ وَالْبُعْدِ	لَا يَغْلُمُ الْإَيْنَ أَيْنَ أَنْتَا
أَخْطَتُ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ	وَكُلِّ شَيْءٍ نَرَاهُ أَنْتَا
وَفِي فَنَائِي فَنَاءُ فَنَائِي	وَفِي فَنَائِي وَجَدْتُ أَنْتَا

وما يمكن أن نستشفه من هذه الأبيات وغيرها من أفكار "ابن العريف" في مسألة حالة الفناء والشهود هو انتقاله من حال الشهود الذي يكون فيها الصوفي فانيا عن ذاته لا يشهد إلا الله إثر : « شغله به واستغراقه فيه (...) ومشاهدة فردانية (ذاته) وقدمها وصمديتها (...) وبقائها (...) وحياتها (...) وإرادته (...) وقدرته (...) وسمعه (...) وبصره (...) وكلامه (...) وجمال (وجهه) وجلاله ... »⁽²⁾. إلى القول بوحدة الشهود أي القول بأنه لا موجود ولا مشهود إلا الله : « فما سوى الحق حجاب ... ولولا العبد لشوهد الرب ... »⁽³⁾.

وإذا كان الفناء الصوفي يفيد : فقدان الفاني الإحساس بالاستغراق في عظمة الله والاستهلاك فيه، مصداقا لقول رب العزة : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾⁽⁴⁾. ولما كان الفناء ثلاث درجات :

الأول : فناء عن إرادة السوى : إنه فناء عن الإرادة الإنسانية لتحقيق الفاني بأن الإرادة الحقيقية هي إرادة الله.

الثاني : فناء عن شهود السوى : والمراد به ليس فناء ما سوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم، حيث يغلب شهود القلب لمحبوبه، فيظن أنه هو نفسه، وهذا ما يطلق عليه وحدة الشهود.

(1) ابن العريف : محاسن المجالس.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) نفس المصدر السابق.

(4) الرحمن : 27.

الثالث : فناء عن وجود السوى : هو الذي تكون فيه غاية العارفين الفناء في الوحدة المطلقة، والإقرار بأنه ما تَمَّ إلا الله ونفي التعدد والكثرة في الوجود، وهذا ما يطلق عليه وحدة الوجود الصوفية.

فإن تجربة ابن العريف الصوفية جعلته ينتقل من الفناء في مدارجه الأولى إلى الفناء في مدارجه الثانية وتحقيق وحدة الشهود.

وإذا كان هناك فرق بين وحدة الشهود ووحدة الوجود، على أساس أن الأولى حال أو تجربة يعانيتها الصوفي، فهي ليست عقيدة أو علماً أو دعوى فلسفية يمكن إقامة البرهان عليها، أو مطالبة الغير بتصديقها، لأنها غير خاضعة لوصف أو تفسير.

فإن الثانية "لا يقصد بها وحدة الألوهية، بل وحدة الحقيقة الوجودية. حقيقة أن الوجود وحدة، ظاهرها المخلوق وباطنها الخالق. ويمكن اعتبارها عقيدة أو نظرية فلسفية لا يمكن إقامة الدليل عليها، ولكن تحقيقها عن طريق التجربة الصوفية ممكن.

وَتَجَدُّرُ الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من الانتقال من الفناء ووحدة الشهود إلى وحدة الوجود، لم يتم عند متصوفة القرنين الثالث والرابع الهجريين، أمثال "أبي يزيد" و"الجنيد" و"الشبلي" و"ذي النون المصري". فإن هذا الانتقال مهدت له نظرية "ابن العريف" في الفناء ووحدة الشهود، إذ سيجمع "ابن عربي" بين "وحدة الشهود" و"وحدة الوجود".

وهي قضية لا يمكن الشك في حقيقتها كما لا يمكن التدليل عليها، بل هي لا تدرك إلا في حالة وحدة شهود عندما يفني العبد عن نفسه وعن الخلق ؛ أي لا يدركها إلا في حالة وحدته الذاتية مع الله الحق⁽¹⁾، لا عن طريق الذوق وحده ولا عن طريق العقل وحده، بل عن طريق العقل المؤيد بالذوق والكشف الرباني.

وقد استدلل "ابن العربي" بكثير من أقوال وأفكار ابن العريف وبفقرات من كتابه محاسن المجالس لتدعيم وتبرير أطروحاته الجريئة في وحدة الوجود أو الفناء المطلق.

(1) أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب بيروت (د.ت) ص 170 (أنظر مسألة الانتقال عنده).

ثانيا : حياته وآثاره

1 - حياة ابن العريف (1).

أ - هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي. الصنهاجي نسبة إلى صنهاجة، وحسب ما أكده "ابن حزم" في "جمهرة الأنساب"، أن من بيوتات البربر الذين كانوا بالأندلس صنهاجة منهم، وهو خلاف لما ذهب إليه بعض المؤرخين، على أنهم من عرب اليمن ومن حيمر بالذات (2).

غير أن ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" يرى أن : الصُّنهاجي بضم الضاد المهملة وكسر ها، نسبة إلى صُنْهاجة قبيلة مشهورة من حيمر وهي بالمغرب (3). ولد يوم الأحد من فجر ثاني جماد الأولى سنة 481 هـ - 1088م.

أبوه هو محمد بن موسى، أصله من "طنجة"، أطلق عليه اسم "العريف" لأنه كان يعمل عريفاً بحرس الليل، وقائماً بأمر الجماعة. ثم رَحَلَ بعد ذلك إلى مدينة "الميرية" ليدخل في رجال "ابن صمادح"، وهي أسرة "معن بن صمادح" أحد ملوك الطوائف، حكمت ألميرية من 433 هـ - 1041م إلى 484 هـ - 1091م، ويصبح من أجنادها.

(1) أنظر ترجمته الكامل في :

أ - ابن الأبار، "المعجم في أصحاب القاضي"، ترجمة 18 ص 15.

ب - أبو العباس بن إبراهيم، "الأعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام"، ج II، ص 5، ترجمة 125 ص 5، 1974م.

ج - ابن فرحون، "الدباج المذهب"، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ص 58.

د - ابن خلكان، "وفيات الأعيان" تحقيق د. إحسان عباس، ج 1، ترجمة 68، ص 168، بيروت 1968م.

هـ - ابن باشكوال، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس..." ترجمة 176، ص 68.

ي - ابن الزيات، "التشوف" تحقيق د. أحمد التوفيق، الرباط 1984م ص ص 118 - 122.

و - الضبي، "بغية الملتبس"، ترجمة 860 ص 166.

(2) الأعلام، ص 13.

(3) الأعلام، ص 16.

ب - نشأ ابن العريف في أسرة متواضعة ماديا واجتماعيا. وكان من ضيق حال والده وحاجته ومعاناته من العوز، أن رفعه في صِغَر سنه إلى حائك وإلزامه تعلم مهنة يَتَعَيَّشُ بها، بدل إرساله إلى الكتاتيب ومعاهد العلم التي كانت منتشرة بالمنطقة. فأبى، لشغفه الكبير بالتعلم وحبهِ الشديد للمعرفة، إلا أن يتعلم، فكان يترك مكان العمل ويدخل مجالس قراءة القرآن والحديث الشريف، وعلوم اللغة العربية وآدابها. وواضِب على ذلك، رغم شدة أبيه عليه وتخويفه وترهيبه إياه، حتى كاد أن يتلفه. غير أن ذلك لم يجدي معه نفعاً، فتركه لقصده⁽¹⁾.

وقد أبدى "ابن العريف" في هذه المرحلة اهتماماً منقطع النظير في طلب العلم وثابر على ذلك، فقرأ القرآن على شيوخ ألميرية وقرطبة وسمع الحديث عن محدثيها، حَصَلَ علم القراءات، وبرع في إجادة الخط، كما أنه استجيز من طرف علماء كبار مثل "ابن باشكوال" في عدد من مؤلفاته⁽²⁾.

ولم تذهب مجهودات "ابن العريف" في طلب العلم سُدى، بل جعل اسمه يلعب في جل حواضر الأندلس الإسلامية، حيث أصبح فقيهاً وراوياً مجرحاً ومُجَوِّداً بارعاً⁽³⁾ وشاعراً ناثراً رقيقاً، وصاحب خط متنوع وبديع، وهذا مما جعل القائمين بالأمر يولونه الحسبة بمدينة "بلنسية"، والقيام بإقراء الصبيان وتعليمهم بمسجدها⁽⁴⁾. وهو إن لم يكن مبتهجاً بتعليمه للصبيان⁽⁵⁾، فإنه كان يقوم بالحسبة عن قناعة ولأسباب⁽⁶⁾ أهمها: ترويض النفس على خدمة الناس واختبار قدرتها على عدم الاغترار بالسلطة، والاطلاع على حقيقة تصرف الحكام فيما عُرِض عليهم من أمانة.

(1) أنظر وفيات الأعيان. ج 1 ترجمة 68 ص 168.

(2) ابن باشكوال ترجمة رقم 176 ص 83.

(3) ابن باشكوال ترجمة رقم 176 ص 83.

(4) ابن الأبار "المعجم" ترجمة 14 ص 18.

(5) يقول في الرسالة 4 إلى أبي الحسن بن غالب مفتاح السعادة ص 115 - 116 : « سألتنى عن وجه حالى فى التعلیم. وإنى فى لفى العذاب الأليم لكثرة ما يعترينى فيه من الوسوس (...) الصبيان لا يبذلون جهداً ولا يفقهون رشداً (...)، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله وقوله عليه السلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (الترمذي ج 4 ص 53).

(6) وهي أربعة : «ألاحظ من نفسي فإنني كنت عند الناس فوقها، والثاني لأجرب نفسي عند الأمر والنهي والحياة والمال، والثالث لينكشف لي ما عليه الحكام من إظهار الحق وإبطاله، والرابع لأقدم ذلك فيما عسى أن أمتحن به من أمر ولاية فأكون على بصيرة من الإقدام والإحجام». الرسالة رقم 5 ص 121.

ج - بقي ابن العريف، ومنذ وعيه الفكري والصوفي، إلى نكبته، ملتزماً بأسس الأخلاق الإسلامية، مجاهداً في نفسه مطالباً إياها بالاستواء والاستقامة محاولة منه لإبعادها عن الفساد والاستبداد⁽¹⁾.

كان يؤثر عليه اهتمامه بأسرته وأقاربه وأصحابه، فكان محباً رحيماً مآزراً ومشاركاً لهم في السراء والضراء، مع المثابرة في إعالتهم.

فعن إلتهامه الأسري كآب وزوج وابن بار يقول في رسالة إلى "أبي بكر عياش" ينصح أصحابه بحسن معاملة الزوجة وتعليمها القرآن الكريم⁽²⁾ وبلطف معاشرتها. كما كان ملازماً لأسرته مرتبطاً بها لا يفارقها، وخصوصاً صغارها، إلا عند الضرورة الملحة. وفي مثل ذلك يقول معتذراً عن السفر : « إن ورائي من العيال من لا وجه لفراقه، لما عندي من الشفقة عليهم وعندهم من العجز عن الصبر »⁽³⁾.

كانت صلاته بأصحابه وأحبائه، قوية ومتينة رغم عدم قدرته مباشرة السفر إليهم وزيارتهم وإحياء الرحم معهم⁽⁴⁾، وذلك عبر الرسائل والرسول. والسبب في ذلك هو العوز وقلة ما في اليد، فقد قضى آخر أيامه وهو لا يتقاضى إلا ذلك الأجر البسيط من إقراء الصبيان، الذي لا يكفي حاجيات عياله.

د - وفاته : توفي "ابن العريف" ليلة الجمعة صدر الليل ودفن يوم الجمعة 23 صفر من سنة 536 هـ الموافق لشهر أكتوبر 1141 م.

وحول نهاية "ابن العريف"، هناك من المصادر ما يرى أن عند نكبته حمل إلى مراکش وأقيمت له مناظرات، ثم سجن وعذب قبل أن يتم إطلاق صراحه، ثم تسميمه من طرف القاضي "ابن الأسود". وهناك ما يرى أنه لم تُقم له مناظرة، وأنه لم

(1) أنظر مفتاح السعادة حيث يقول في إحدى مراسلاته إلى أحبائه : أنه منذ أربعين سنة «يطالب نفسه بالاستواء والاستقامة فما يزيدنا طلبه إلا استبداداً، ولا يفيدنا إلا علواً وفساداً» ص172.

(2) مفتاح السعادة ص115.

(3) مفتاح السعادة ص105.

(4) يقول في رسالة، مفتاح السعادة ص107 « لو فتح الله لمن ورائي في شيء من حطام الدنيا حتى يستغنوا به عني ... فلو اتفق لهم ذلك، لكننت أهون على النفس من السفر ... وكنت أبحث عن إخواني أذاكرهم شيئاً من العلم ... فالحاجة الأولى هي حاجتي ... ».

يتعرض للسجن والتعذيب، فعندما وصل سبّته أرسل له السلطان الأمان والأمر بإطلاق صراحه⁽¹⁾.

لكن هناك من يرى، أنه سُمّ بعد نزوله بسبّته وهو في طريقه إلى مراكش وحُمِلَ إليها ميتاً ودفن بها⁽²⁾.

ومهما يكن من الأمر فالثابت هو أن وفاته وقعت في هذا التاريخ بفعل عمل إجرامي، كما أنه من الثابت أن الناس احتفلت بجنائزته، وأن السلطان "علي بن يوسف" ندم وغضب مما وقع به.

وقبر "ابن العريف" يزار إلى الآن، وقد ذكر المقرئ في نفح "الطيب" أنه زاره سنة 1010 هـ. كما أن قبره يتبرك به في تلك الديار ويستشفى به، كما أشار إلى ذلك العباس بن إبراهيم⁽⁴⁾.

2 - أساتذته، تلامذته، آثاره.

أ - أساتذته :

بيننا في لحظة سابقة أن "ابن العريف" كان من طلاب العلم المجدين، فأين ما حلَّ وارتحل يطلب المعرفة من شيوخ وأساتذة الثقافة والعلوم، التي كانت سائدة في عصره، سواء في حاضرة "الميرية" أو "مرسية" أو "قرطبة".

فقد حفظ القرآن الكريم وتلقى الحديث النبوي الشريف واعتنى بالقراءات⁽⁵⁾ ومختلف العلوم والمعارف، وخاصة منها التصوف.

ومن أهم أساتذته الذين تلقى عنهم علومه ومعارفه بطريق مباشر وغير مباشر :

- "أبو الحسن البرجي"⁽⁶⁾ : هو علي بن محمد بن عبد الله الجذامي، كان مقرناً مجوداً

ضابطاً ذا كراً للقراءات، كما أنه كان فقيهاً متفناً في العلوم الشرعية. عرف بصلاحه

(1) أنظر التادلي، التسوق ص120.

(2) باب التنكي : نيل الابتهاج ص58.

(3) المقرئ، نفح الطيب ج4 ص331.

(4) الأعلام ج2 ترجمة ابن العريف.

(5) حيث يذكر أن ابن باشكوال في "الصلة" : « أنه سمع من جماعة من شيوخنا، وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقراءات، وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وجمالها... » القسم الثاني ترجمة 176، ص81، الدار المصرية للتأليف، 1966.

(6) البرجي من بركة وهي من عمل الميرية، أنظر "ابن عبد المالك المراكشي" كتاب "الذيل والتكملة" ص308، الترجمة رقم 604.

وطيبوبته، وكان له موقف من إحراق كتب الغزالي وعلى رأسها "إحياء علوم الدين" حيث أفتى بتأديب مُحرقها.

ويعتبر " ابن العريف" من أهم الذين رووا عنه⁽¹⁾. توفي بالميرية سنة 509 هـ.

- " أبو محمد عبد القادر القروي" : وهو عبد السلام بن مسافر القروي، كان كاتباً معتنياً بأخبار مشايخ العلماء وآثارهم، توفي سنة 480 هـ.⁽²⁾

- " أبو جعفر الخزرجي" : وهو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي، ينتسب إلى " سعد بن عبادة" صاحب النبي ﷺ، أصله من قرطبة، سكن غرناطة وبجاية، كما استوطن مدينة فاس، ولأزم مشايخ القرويين على هذه الفترة وروى عنهم خاصة الحديث، وتكلم في معانيه. امتحن بالأسر سنة 540 هـ ثم خلاصه الله، توفي بفاس سنة 582 هـ.⁽³⁾

- " أبو القاسم بن النحاس" : اسمه الكامل : خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد بن الحصان، خطيب مُقريء ومجود كتاب الله، توفي سنة 511 هـ.⁽⁴⁾

- أضف إلى ذلك شيوخا آخرين " كأبي القاسم خلف بن محمد بن العربي" ⁽⁵⁾، و" أبي القاسم بن بشكوال" الذي أجاز ابن العريف واستحاز منه، وقد ذكر ذلك في الصلة بقوله : « وقد استجزته من تأليفي هذا وكتبه عني، وكتبت إليه بإجازته مع سائر ما عندي، واستجزته أنا أيضا فيما عنده...»⁽⁶⁾.

- لكن يبقى أهم شيوخه في مجال التصوف وشرح القرآن هو " أبو الحكم بن برجان" المتوفى سنة 536 هـ بمراكش، وقد ذهب مذهبه في التأكيد على أصحابه المريدين في رسائله بالالتزام بالسنة «وتكلف ما يوافق السنة من الظن الجميل»⁽⁷⁾ والابتعاد

(1) الذيل والتكملة نفس المعلومات.

(2) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق 1، ترجمة 839، ص 392.

(3) ابن فرحون : الديباج المذهب ... ص 50.

(4) الضبي : بغية الملتبس ترجمة 718 ص 279.

(5) انظر ترجمته : ابن بشكوال كتاب الصلة ترجمة 398 ص 172.

(6) نفس المصدر السابق، ترجمة 176، ص 83.

(7) للوقوف على ذلك الرجوع إلى : من رسائل ابن العريف إلى السيد المالفي بكتاب مفتاح السعادة، تحقيق.

د. عصمت دندش ص 180.

عن الباطنية والظاهرية لأن كليهما تنافر الحقيقة. وقد كانت بينه وبين شيخه اتصال وتواصل موصول ومستمر.⁽¹⁾

و"ابن برجان" هذا، هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان اللخمي الإفريقي الإشبيلي⁽²⁾، ينحدر من أصول مغربية، كان أبرز رجال التصوف بالأندلس، في النصف الأول من القرن السادس الهجري؛ إذ كان هو الإمام القطب لجماعة المريدين في جميع الأندلس، الساهر على إرشادهم وتسيير حشودهم والتنسيق بينهم. من أهم مؤلفاته: "شرح أسماء الله الحسنى" وتفسيره للقرآن المعنون بـ "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم"⁽³⁾.

ب - تلامذته :

كان ابن العريف من أهم وأكبر مفكري عصره بعد ابن برجان، وكان له إشعاع في كثير من العلوم مثل : الفقه والحديث، علم القراءات والتجويد، ناهيك عن رسوخ قدمه في التصوف. وقد ذكر مؤرخوا الفكر الأندلسي الكثير من الذين أخذوا عنه، واتبعوه في مذهبه العلمي عامة، والسلوكي الصوفي خاصة. ومن هؤلاء :
- "ابن الأقلشي" : هو أحمد بن محمد عيسى، يُدعى بأبي العباس توفي بصعيد مصر سنة 550 هـ.⁽⁴⁾

- "إبراهيم ابن قرقول" : وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن باديس الوهراني المتوفي بفاس سنة 569 هـ.⁽⁵⁾

- "أبو محمد عبد الغفور" : وهو إسماعيل بن خلف، من صوفية غرب الأندلس، سكن "لبلة"، لازم ابن العريف زمنا طويلا، وقد بلغ في موطنه درجة المشيخة، لِمَا عرف عليه من الفضل والعلم والكرامات وإجابة الدعاء، إلا أنه كان مُعَارِضاً

-
- (1) انظر رسائل ابن العريف إلى أبي الحكم بن برجان، نفس المصدر ص108.
 - (2) أنظر ترجمته الكاملة في "صلة الصلة" ذيل الصلة الشكالية في تراجم أندلسية، "لابن الزبير"، أصدره "لبي بروفنصال" الرباط 1977 ص31-32، وكتاب "الأعلام" للعباس بن إبراهيم ج8.
 - (3) وقد قمنا بتحقيقه في جزأين عن دار الثقافة، البيضاء سنة 2011.
 - (4) ابن الأبار : التكملة، ج1، ترجمة 394، ص.
 - (5) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة طبعة 1886 ج1 ترجمة رقم 394.

من طرف بعض المريدين الذين أنكروا عليه مشيخته، مما جعل شيخه ابن العريف يرأسه ويشد أزره وينصحه بالصبر فيما يكابده⁽¹⁾. توفي بعد أدائه فريضة الحج، وقد كانت رحلته إلى المشرق حوالي 540هـ.⁽²⁾

- "ابن المدرة": هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الكتامي، صاحب ابن العريف وأخذ عنه خاصة آراءه الصوفية، كان متأدباً في النحو، ومتحققاً بعلوم اللسان بارعاً في الأدب.⁽³⁾ مات في حدود سنة 530هـ.

- "أحمد الأندلسي": هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري، يعرف بابن اليتيم وبالبلنسي، توفي سنة 581هـ.⁽⁴⁾

- "ابن خير": هو ابن خير الفاسي الإشبيلي؛ أخذ عن ابن العريف علومه، واستفاد منه مواعظ ووصايا، كما أنه ذكره في قضايا الصوفية واستفاد منه في ذلك.⁽⁵⁾ ومن أهم مؤلفاته فهرسته الشهيرة.

- "محمد بن وئلم": هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أبي الخليل التميمي، أخذ عن ابن العريف طريقته في التصوف وصحبه زمناً طويلاً، وروى عنه.⁽⁶⁾

- "محمد بن نمارة الحجري": هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن نمارة من أصحاب ابن العريف الذين امتحنوا بالسجن، توفي سنة 563هـ.⁽⁷⁾

- "سعيد بن معاوية": هو أبو عثمان سعيد بن معاوية بن عبد الجبار بن عباس الأموي النحوي، تأثر كثيراً بشيخه "ابن العريف" وأخذ عنه خاصة علوم اللغة

(1) انظر ابن العريف "مفتاح السعادة"، رسالة ابن العريف إلى محمد عبد الغفور ص 198 تحقيق د. عصمة دندش.

(2) ابن الزبير: "صلة الصلة"، تحقيق "لفي بروفانصال" الرباط 1957م ترجمة: 52، ص 37.

(3) ابن عبد المالك: "الذيل والتكملة"، ق 1 من السفر 8، ترجمة 103، ص 309.

(5) ابن خير الإشبيلي: الفهرسة ص 460: بيروت - بغداد 1963، والتادلي ص 118، ومفتاح السعادة ص 18.

(6) ابن الأبار نفس المصدر ج 2 ترجمة 1366.

(7) ابن الأبار نفس المصدر ج 2 ترجمة 1381.

العربية، والشعر، وهو من أهل إشبيلية عرف بها مُعلِّماً للغة العربية والأشعار. توفي عن سن الأربع والستين، سنة 520هـ.⁽¹⁾

- "عتيق بن مؤمن": هو أبو بكر عتيق بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن مؤمن، رافق شيخه ابن العريف طويلاً وكان من خاصته، جَمَعَ مَا سَمِعَ عن شيخه من نثرٍ وشعرٍ في مصنف وهو المعروف بـ "مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة". توفي سنة 548هـ.⁽²⁾

كما أن لابن العريف أتباع آخرين مباشرين وغير مباشرين بعدوة المغرب الذين اتبعوا خاصة طريقه الصوفي الذي تميز بالاعتدال والالتزام بالكتاب والسنة، والابتعاد عن التطرف العقدي والمذهبي، ومنهم :

- "أبو عبد الله الغزال": هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الغزال الشيخ الذي اتبع مسيرة شيخه "ابن العريف" بالميرية، واجتمع حوله عدد من الأتباع والمريدين في المنطقة. معلوماتنا حوله شحيحة جداً، ويرجع الفصل لابن عربي الحاتمي فيما نعرفه عنه ؛ فقد قال عنه في كتابه "روح القدس" مبرزاً لقيمه العلمية في مجال التصوف، حينما جعله من نفس مستوى شخصيات صوفية رفيعة إذ اعتبره : «من أقران أبي مدين وأبي الربيع الكفيف الذي كان بمصر. وعبد الرحيم الذي كان بَقْنَا، وأبي النجا الذي كان بجزيرة الذهب رحمهم الله»⁽³⁾.

كما أشار إليه في كتابه "الوصايا" معرفا بقيمته وبمنزلته الرفيعة بين كبار الصوفية المعاصرين له مثل : "الغوث أبي مدين" و"يلنور أبي يعزى" و"السارية أبي شعيب" و"اليسكري أبي الفضل" وغيرهم.⁽⁴⁾

(1) ابن بشكوال نفس المصدر، ترجمة 487، ص217، وتاريخ وفاة سعيد جاء خطأ في هذا المصدر (إحدى وعشرين وأربعمئة).

(2) ابن عبد المالك نفس المصدر، سفر 5 قسم 1 ترجمة 242 ص126.

(3) ابن عربي : كتاب روح القدس ص99 نشرة أسين بلاثيوس.

(4) ابن عربي : الوصايا ص285.

- "أبو الحسن بن غالب": هو «شيخ الصوفية في وقته، كما وصفه ابن الزبير⁽¹⁾، وقال عنه ابن عبد المالك: «إن له في طريقة التصوف مصنفات لا نظير لها»⁽²⁾. ومن هذه الكتب: «الأيام والحجب» و«اليقين». وقد كانت له صلة وثيقة بالشيخ ابن العريف، وهذا ما تشير إليه الرسائل التي بعث بها هذا الأخير إليه والتي بلغت حوالي العشرين رسالة⁽³⁾.

- "أبو الربيع المالقي": هو أبو الربيع سليمان مالقي الأصل، لازم ابن العريف واكتسب على يديه خيرات كثيرة، ورَوَى عنه، كما كان شيخاً صالحاً متخلقاً وصاحب كرامات⁽⁴⁾. بعد نكبة شيخه هاجر إلى القاهرة، وأنشأ جماعة صوفية كان لها تأثيرها الواضح، لشموخ ورفعة شيخها في ميدان السلوك والأخلاق الصوفية⁽⁵⁾.

ج - آثاره:

لقد خلف ابن العريف آثاراً لا بأس بها شعراً ونثراً، إلا أن أغلبها ضاع أو فقد في البحر عندما رُحِّلَ قسراً من الأندلس إلى المغرب، ولربما هو الذي ألقى بها في اليم حسب ما ذكر الذهبي⁽⁶⁾.

ومن كتبه النثرية التي وصلتنا:

- كتاب "مقامات السادة الصوفية"، أو "محاسن المجالس" والذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته.

- كتاب "مفتاح السعادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة". وهو إلى الآن مخطوط يوجد بالخزانة الناصرية بتمجروت، تحت رقم 1687.

(1) ابن الزبير: الصلة، ترجمة 201 ص99.

(2) ابن عبد المالك: الذيل والتكملة س5 ق1 ترجمة 415 ص209.

(3) ستجدون نماذج منها في الملحق.

(4) ابن الزبير: صلة الصلة، ترجمة رقم 185 ص92.

(5) أنظر ابن عبد المالك: الذيل والتكملة س4، ترجمة 325 ص178.

(6) يرى شمس الدين الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" ج20 الترجمة 68، ص113، ط3 - 1985م: إن ابن العريف عندما احتل إلى مراکش استوحش فَعَرَّقَ في البحر جميع مؤلفاته، فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه.

- كتاب " مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة"، وهو الذي جمعه تلميذ ابن العريف : " أبو بكر عتيق بن مؤمن" (496هـ - 548هـ) وحققته الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش بدار الغرب الإسلامي ط الأولى سنة 1993، بيروت لبنان.

وهذا المؤلف عبارة عن مجموع ما وقع بين يدي مريده وملازمه السالف الذكر، من أدعيات ومناجات ورسائل من ابن العريف إلى إخوانه وأصدقائه وأحبائه في الله ومريديه من شيوخ الصوفية وأجوبته على رسائلهم، وكذلك ما نظمته من قصائد شعرية ومقطعات وجدانية.

وسنرفق إن شاء الله بهذا العمل ملحقاً خاصاً بنماذج من رسائله، وقصائد من أشعاره.

كما ذكر له "المقري التلمساني" كتاباً بعنوان : "مطالع الأنوار ومنابع الأسرار". وهو مفقود إلى الآن⁽¹⁾.

(1) انظر كتاب " نفح الطيب"، ج 7 ص 497 تحقيق د.إحسان عباس دار صادر، بيروت 1968م.

الفصل الثاني

الكتاب موضوع التحقيق :

محتواه، منهجية تأليفه، قيمته التاريخية والفكرية

أولاً : الكتاب موضوع التحقيق

ثانياً : محتوى الكتاب

ثالثاً : منهجية تأليفه.

رابعاً : قيمته التاريخية والفكرية.

أولاً : الكتاب موضوع التحقيق :

محتواه، منهجية تأليفه، قيمته التاريخية والفكرية

1 - الكتاب موضوع التحقيق.

كتاب " مقامات السادة الصوفية"، من مؤلفات " أبي العباس بن العريف" عرف تحت عنوان " محاسن المجالس".

غير أن جل الذين ترجموا له من الأقدمين لم يذكروا شيئاً عن مؤلفاته، إذا استثنينا " ابن خلكان" في كتابه " وفيات الأعيان" الذي أشار بشكل عام وغير مستقص إلى أن له " كتب التصوف" دون الوقوف على عددها وعناوينها، اللهم ما أوما إليه بـ"المجالس".

ومن المحتمل أن يكون سكوت مؤرخي الفكر وكتاب التراجم عن مؤلفات "ابن العريف"، راجع إلى خصوصية اهتماماتهم الفكرية والثقافية عامة، المتسمة بالمحافظة والتقليد، التي تدخل في دائرة ما هو شائع من العلوم والمتعارف بين الجمهور، المبارك من طرف السلطة. مثل كتب الحديث والفقه وأصول الفقه والتاريخ والأدب والشعر، في مقابل الكلام والفلسفة والتصوف.⁽¹⁾

ومع ذلك فإننا نجد الكثير من مفكري الإسلام من المغاربة والمشاركة، الذين ذكروا الكتاب وأوردوا بعض أفكاره، ومنهم :

- " محي الدين بن العربي" (560هـ - 636هـ)، في كتابه الموسوعة " الفتوحات

(1) ارجع في ذلك إلى أهم الفهارس التي أرخت للمرحلة، مثل "ابن الأبار" في "المعجم"، "التادلي" في "التشوف"، و"ابن بشكوال" في "الصلة" و"الضبي" في "البغية"، و"ابن فرحون" في "الدباج".

المكية"، يُشير في عدة أماكن إلى كتاب "ابن العريف" "محاسن المجالس" ففي الباب الثالث من الجزء الأول ص 92 و 93 عند بحثه في مسألة : أن لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه البتة، يستشهد بقول "لابن العريف" في "محاسن المجالس"، مؤداه أن الله : « ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فَعَمَى وتبليس ».

وفي الباب الثاني والعشرين في معرفة علم منزل المنازل، الجزء الأول ص 175. عندما قارب مسألة أولوية الحق في الوجود قال : « إن أولوية الحق تَمُدُّ أولية العبد، (وأن) مما لا يدخل تحت حضرته ... فعَمَى وتبليس، هكذا صرح به صاحب "محاسن المجالس" ».

- لسان الدين بن الخطيب (713هـ - 776هـ) في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة"، ذكر المؤلف بمناسبة ترجمته "لابن المرأة" (1)، الجزء الأول ص 326، 327، عند تعديد إنتاجاته، ومنها : « شرح لمحاسن المجالس لأبي العباس [أحمد] بن العريف » (2).

- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (986هـ - 1041هـ) في كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، عند ترجمته "لابن ليون التجيبي" (3) "ذكر المحاسن" قائلا : « ولنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه ببلدة قصبة الميرية أعادها الله تعالى، فمما أنشده رحمه الله تعالى " لأبي العباس أحمد بن العريف " صاحب " محاسن المجالس " مقطعة مطلعها (4) :

مَنْ لَمْ يُشَاوِرْ عَالِمًا بِأُصُولِهِ فَيَقِينُهُ فِي الْمُشْكِلَاتِ ظَنُّونُ

(1) " نفح الطيب"، ج 1، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت 1978م ص 597.

(2) ابن المرأة : هو ابن دهاق الأوسي إبراهيم بن يوسف بن محمد متكلم وصوفي من أصحاب الوحدة

(3) انظر ترجمته الكاملة ب : التكملة ص 86 (باسم سعيد)، ونيل الانتهاج ص 105، والإحاطة ص 365. ونفح الطيب ج 5 من ص 543 إلى 603. وهو أبو عثمان سعد بن أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي، من أكابر أئمة الزهد والعلم والنهج.

(4) " نفح الطيب"، ج 5، ص 596 - 597.

- كما نجد "العباس بن إبراهيم" في مؤلفه "الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الإعلام" الجزء الثاني، عند ترجمته "لابن العريف" يورد أهم المؤلفات التي تذكر "محاسن". مثل :

- "كشف الطنون" "لحاجي خليفة" الذي جزم بنسبة الكتاب إليه.(1)

- "الفتوحات المكية" "لابن عربي"، الذي أورد فيه رأي ابن العريف في تنزيه الحق تعالى.(2)

- "نفح الطيب" عند إيراده لأحسن ما قيل في الليل من شعر "لابن العريف" في "محاسن المجالس" والذي مطلعته :

لَسْتُ أَذْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَذْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى(3)

أما الذين اهتموا بالكتاب من المحدثين، فنجد الباحث المستشرق الإسباني "ميكانيل أسين بلاثيوس السرقسطي" (1870م - 1944م)(4) الذي نشر كتاب "محاسن المجالس" بمقدمة وترجمة للنص باللغة الفرنسية في باريس سنة 1933م. وهو يعتبر كذلك في حكم المخطوط لندرة نسخه.

(1)، (2)، (3)، الإعلام ص 16، 17.

(4) بلاثيوس باحث ومفكر إسباني اهتم بنصوص الفلسفة والتصوف الإسلاميين وخاصة نصوص : ابن عربي، الغزالي، ابن حزم، ابن العريف، ابن طملوس، والشهرستاني. أنظر مقدمة كتابنا الذي حققنا فيه المدخل لصناعة المنطق "لابن طملوس" ط 1 دار الثقافة 2006 الدار البيضاء.

ثانياً : محتوى الكتاب

1 - وضع الكتاب كما ورد في مقدمته لا لعامة الناس ولا لمطلق الهادين للطريق المستقيم، بل خُصَّصَ لأهل التذكير من الصوفية، أملاً في أن «يسهل على المريد صعوبة الطريق، ويُشيد للمراد دعائم صدقه وتحقيقه، ويحمل سامعها على ارتكاب الأشد في تحري الأسد»⁽¹⁾.

وقد اعتمد ابن العريف في تأليف مادته على ثقافته الصوفية التي استقاها من المشايخ التاريخيين أصحاب الرسالة "كأبي يزيد البسطامي" و"الشبلي" و"ذي النون المصري". والمشايخ الغرب إسلاميين، الذين أشرنا إليهم سابقاً، على رأسهم "ابن برجان"، دون أن ننسى تأثيره العميق بالغزالي، خاصة بالمقامات التي نظَّر لها في إحياء علوم الدين⁽²⁾ وركز على مفهوم كل منها عند العامة وعند القوم (خاصة الخاصة). هذا بالإضافة إلى مجهوده الفكري والذوقي المتميز، وقدرته الكبيرة على التعبير شعراً ونثراً على أدق القضايا الصوفية، بأسلوب غاية في الوضوح والمُشَبَّع بالمحسنات البديعية : من شَجْع وجناس وتصوير وضرب الأمثال، والاستناد إلى آيات الكتاب الكريم وأحاديث السنة المحمدية الشريفة، لتدعيم رأيه فيها سلماً أو إيجاباً.

والفكرة المركزية التي يقوم عليها الكتاب وتأسس نظريته في التصوف، هي أن هذه المقامات والمنازل المدروسة تمثل عوائق للخواص، فهي لا تناسب إلا العوام. وهي مقامات تتفق حولها جل رجال التصوف، وقد أوردها حسب الترتيب

(1) محاسن المجالس، ص .

(2) أنظر مثلاً الجزء الرابع من إحياء علوم الدين، دار الفكر بيروت حول مقارنة الإمام الغزالي للمنازل والمقامات الصوفية، وقارن بينها وبين تناول ابن العريف لنفس الموضوع.

التالي : المعرفة، الإرادة، الزهد، التوكل، الصبر، الحزن، الخوف، الرجاء، الشكر، المحبة، الشوق. ويضيف إليها منزلين هما : التوبة والأنس، ويمارس عليها نقده مبينا نظر الخواص فيها.

- فالإرادة باعتبارها حلية العوام، هي تجريد قصد العبد إلى مولاه، وهي في نظر الخواص نقص وتفريق. وإذا كان الزهد عند العوام، قمع للنفس وجرمانها من التعلق بها ؛ فإن ذلك لا يكون إلا في الظاهر، بينما يبقى التعلق بها والتفكير فيها بالباطن، على أن الأولى والأجدر التفكير والتعلق بالباري تعالى.

- وبينما يكون الصبر عند العوام نوع من التصبير، وهو كتمان الشكوى في تحمل المصائب. وعند المريدين صبر يخفف ويسهل عليهم صعوبة الموارد. فإن ذلك عند الخواص نقص، لأن الاستسلام لقضاء الله، واعتبار أن كل ما يعطيه المليح مليح، هو عين الصبر وهو ما يطلق عليه الاصطبار.

- والتوكل عندما يكون وقوفاً مع التوكل ورجوعاً إلى الأسباب، فهو توكل العوام، لأن الصوفية الخلف، يرون أن التوكل الحق يكمن في تخلص القلب عن علة التوكل.

- الحزن باعتباره ملازمة للكآبة، ونسيان لما مَنَّ به الله على العبد من خيرات، وأعظمها منح الوجود، هو في نظر الخواص حجاب. فبذكر الله والمجاهدة في معرفته يكون الجلاء من كل همٍّ وغمٍّ.

- الخوف عند غير الصوفية هو ملازمة الأسف والحذر من سطوة العقاب، ولهذا يعتبرونه من الحجب، لأن قرب العبد من الرب لا يكون إلا بعبادته لا على وحشة ونفور، بل على أنس به واطمئنان بذكره.

- الرجاء عند العوام تبريد لحرارة الخوف ودواء له، وهذا في حكم المحققين رعونه ووقوف مع الطبع. بينما الرجاء شكوى ومطالبة عوض، حين يكون المحقق مغموراً بإحسانه الحق محاطاً بالطفاه.

- الشكر عند العوام في حكم "ابن العريف" من أضعف منازل أهل الطريق، إنه حجابٌ وهَرَبٌ من رق المنة، بينما الشكر الحق أن لا يشهد في حال النعمة سوى المنعم.

- والمحبة باعتبارها أول أودية الفناء الصوفي، للعوام منها شرب وللخواص شرب، فمحبة العوام تلذذ وتَسَلَّى وهي عندهم أساس الإيمان.

بينما محبة القوم على اختلاف إشاراتهم في العبارة عنها، وجود تعظيم في القلب يمنع المحب من التعلق بالسوى سوى الله.

- الشوق في نظر "ابن العريف" من منازل العوام وهو يتجنب استعماله، لأنه مصطلح لم ينطق به كتاب ولا سنة. فإذا كان الشوق عند غير الصوفية يكمن في تمنى حضور غائب والحث في طلبه وعدم الصبر على فراقه، وهذا في حكم القوم عِلَّةٌ عظيمة وضعف في البصيرة، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب. بينما مذهب الحقيقة يقوم على المشاهدة، لأن الأصل أن تعبد ربك كأنك تراه.

ومن الملاحظ أن هذه المقامات والمنازل المدروسة في المحاسن، وإن كان لا جديد فيها يستحق الإشارة فيما يخص مصطلحاتها ومعانيها الأصلية، كما عرفت مع "ذي النون المصري" مبدع هذا المبحث قبل ثلاثة قرون من هذا العصر⁽¹⁾. فإن الجديد الذي يتميز به كتاب "محاسن المجالس" يتجلى في الفصل الأول "المعرفة" والفصل العاشر "المحبة" والفصل الثاني عشر والثالث عشر. فالقراءة المتأنية لهذه الفصول تبين أول الطريق الصوفي، لا من أجل المريدين السالكين السائرين على طريق التمكن، بل من أجل خاصة الخاصة. فالكتاب مخصص للعارفين الذين بلغوا مرتبة العرفان، والإدراك الباطني للحقيقة. فما عدا منزلتي "الحب" و"المعرفة" فإن كل المنازل : « عِلَّةٌ أَيْفَ الخواص منها وأسباب انفصلو عنها ... »⁽²⁾.

(1) يقول مثلاً في علامات المحب لله : هو متابعة حبيب الله محمد ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه. ويقول في التوبة : توبة العوام تكون من الذنوب، وتوبة الخواص تكون من الغفلة. أنظر : الرسالة التفسيرية في التصوف دار الكتاب العربي بيروت (د.ت) ص 8، 9.

(2) محاسن المجالس، ص :

فهي لا تنفع الصوفية العارفين المحققين، بل تقف حاجزاً دون بلوغ هدفهم الأسمى: شهود عين الحقيقة: «... فالإرادة والتوبة والزهد والتوكل والصبر والحزن والخوف والرجاء والشكر والمحبة والشوق والأنس، منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة. فإذا شهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال السائرين»⁽¹⁾.

وفي آخر الكتاب ترد بعض المواعظ والتوجيهات التربوية الروحية، التي تساعد من يُحصِّلها على نيل غنى وفضلاً عظيمين من الله، متمثلة في أربعين كرامة :

عشرون في الدنيا : كذكر الله، وشكره، ومحبته، والتوكل عليه، وأن يجعل من الله نظيراً، وأنيساً. وأن يتحلّى بغنى النفس، ورفع الهمة، وغنى القلب. وأن يهتدي بنور القلب، وسعة الصدر، وأن يحفظ هيئته. وتنمية المحبة في القلب، والتبرك ببركة كل شيء. تسخير الكائنات، التمكن من مقاليد الأرض، الواجهة، إجابة الدعوة.

وعشرون في الآخرة : كأن يهون الله عليه سكرات الموت، ويثبت على الإيمان، وأن يثبت روحه وأمنه. الخلود في الجنة، تحية الملائكة له، الأمان من فتنة السؤال وضيق القبر. وإكرامه بإيناس روحه، والحشر في العز والكرامة، والأمان من هول القيامة. وأخذ الكتاب باليمين، وتيسير الحساب. ثقل الموازين بالحسنات، ورُودُ الحَوْض، جَواز الصراط، نيل الشفاعة، الخلود في الجنة، لقاء رب العزة.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن ما قدم في هذه المواعظ من أفكار، لا يتناغم كلياً وما نظر له "ابن العريف"، عند تحليله ونقده للمقامات الصوفية. ومن الأمثلة على ذلك : أن ما أكد عليه في الفصل الرابع المتعلق بالتوكل، والذي ينبغي فيه الإفلات من الحظوظ النفسية، يتعارض وما انتهت إليه الموعظة الرابعة في الكرامة الدنيوية، والتي تتخلص في : أن الله، يكون للعبد المنيب إليه، وكيلاً يُدَبِّرُ أمره.

(1) محاسن المجالس، ص :

وهذا ما يدفعنا إلى الشك في أن تلك المواعظ والتوجيهات من إنشاء "ابن العريف" حقاً. وما يقوي هذا الشك هو الاختلاف والتباين بين منهج وأسلوب وفكر المحاسن وبين ما ألحق به. ولربما أنها إضافة من ناسخ المخطوط.

ومما يدعم هذه الفرضية ويقوي هذا الشك، أنه لا توجد هذه المواعظ إلا في نسخة واحدة اعتمدها "أسين بلاثيوس" في نشرته للمحاسن بالفرنسية⁽¹⁾ من بين المخطوطات الأربع التي اشتغل عليها : وهي المخطوطة التي تحمل رقم 37 من فهرسة المواعظ، الموجودة في المكتبة البلدية بالأسكندرية. والذي قال بحق أنها تختلف عن المخطوطات الأخرى، وأنها كتبت من طرف ناسخ جاهل بأسس اللغة التقنية الصوفية وبأسلوب المحاسن. فأقحم حشداً من الأقوال الحكمية، والمواعظ الزهدية، والأبيات الشعرية، وسرد وقائع عاشها، ووصف حالات من الورع لبعض التقاة. دون أن تكون دقيقة أو متناسقة مع النص الأصلي للمحاسن، خالية من قوة الإقناع التي يتميز بها.⁽²⁾

كما أن المخطوطين اللذان اشتغلنا عليهما، كذلك لم نجد بهما تلك المواعظ والأشعار، إذ ينتهي المخطوط الخاص بمعهد الدراسات والثقافة الشرقية (جامعة طوكيو) بقصيدة مطلعها :

أَلَا قُلْ لِمَنْ يَدْعِي حُبَّنَا وَيَزْعُمُ أَنَّ الْهَوَى قَدْ عَلَقَ

وأخرها :

فحطوا جبالَ مَراسِيهم وَغَطُّوا فَعْطَاهُم وانطبَقْ

أما المخطوطة الخاصة بجامعة الملك سعود فهي كذلك خالية من تلك المواعظ إلا أنها تنتهي بالقصيدة المذكورة، كما أنها هي الأخرى ملحقة بأدعيات معززة بآيات من الذكر الحكيم، وأشعار "لابن المعتز" ولغيره من الشعراء الوعاظ. (سنورد لها صورة بالمكان المخصص).

(1) ارجع إلى : IBN AL-ARIF : MAHASIN AL-MAJALIS; Texte Arabe, Traduction et commentaire par MIGUEL Asin Palacios. Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner 1933.

(2) أنظر ص 9.

ثالثاً : منهجية تأليف الكتاب

انتهج "ابن العريف" في تأليفه لكتاب "المحاسن" طريقة تحليلية نقدية للمقامات التي يتفق حولها صوفية الإسلام، كان هدفه الأساسي من وراء ذلك، تسهيل الطريق على السالك المريد حتى يبلغ المراد وهو المشاهدة. محاولاً من خلالها تجريب مواهبه في التلقين والدعوة بالموعظة الحسنة إلى التحقق بنور الكشف الرباني. وقد كان يُدْعَمُ آراءه في كل مقام مقام بإيراده لآيات من القرآن الكريم ولأحاديث نبوية شريفة، محاولاً تقريب فحواها بتفسيراته الإشارية حتى تتلاءم والموضوع قيد البحث.

ولم يدخر جهداً في تمثيل الأفكار التي كان يقاربها بحكايات وقصص لبعض الأنبياء والرسل عليهم السلام، تسلياً للمتلقي وتحبيباً وترغيباً له وتثبيتاً لفوائده وحثه على بذل الجهد من أجل الفهم والتحصيل ؛ كموسى وعيسى وداود عليهم السلام. ولبعض مشايخ الصوفية كأبي يزيد، وذو النون المصري، وأبي بكر الشاذلي ورابعة العدوية.⁽¹⁾

(1) وعن قيمة الحكاية في منهجه في الكتابة والتعليم ودورها في تقريب المراد إلى المريد ذكر "المواق" في كتاب "سنن المهتدين" ما نصه : «وحدثني شيخي المنتوري بسنده إلى "أحمد بن العريف" قال : كنت جالساً في مجلس أستاذي "أبي علي الصوفي" أقرأ عليه الحديث، فقرأ يوماً الحديث ثم غلق الكتاب، وجعل يحكي حكايات الصالحين. فوقع في نفسي كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله ﷺ ويحكي حكاية الصالحين؟! قال : فما تم لي خاطر، حتى نظر إلي الشيخ شزراً، وقال لي : يا محمد الحكايات جُندٌ من جنود الله يثبت بها قلوب العارفين من عباده. قال : فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العروق، فلما رأيته دهشت قال لي : يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله تعالى؟ قلت : الشيخ أعلم. قال : قوله تعالى : وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فَوَادَكَ (هود : 120) أنظر الأعلام ج 2، ص 23.

وكثيراً ما كان يوضح ويدعم ويركز ما توصل إليه من الأفكار الناشئة عن خوضه في حقيقة مقام من المقامات، بأبيات شعرية ؛ إما من إنشائه أو من إنشاء غيره من الشعراء السابقين أو المعاصرين له.

ومن مميزات منهجه في تأليف "المحاسن" هو طريقة تعبيره التي تنم عن قدرته العالية على الاستفادة والإفادة، وذلك لإتقانه الجيد لعلوم اللغة والاشتقاق والنحو والصرف، ومعرفة واسعة بالأدب والشعر وعلوم القرآن والحديث، وعلوم البلاغة العربية، ناهيك عن تضلعه في علوم القوم وعمق رؤيته الصوفية.

وقد تمثل ذلك في أسلوبه الأدبي الشعري النثري، الذي في غاية الوضوح والجمال، والذي مكنه من التعبير على أشق المعاني الصوفية، في سلاسة ووضوح. موظفاً لحشد كبير من المصطلحات الصوفية بشكل ملائم ومحدد. مثل : الحال، والهمة، والإرادة، والباطن، والظاهر، والهيبة، والرعونة، الفناء، التحقيق، والذوق والشرب، والحيرة، والحق في مقابل الخلق، والهمة، وعين الحقيقة، والكرامة ... وغيرها من المفاهيم التي يتداولها الصوفية سنيون معتدلون أو مغالون. ووعياً منه بأن التعبير الوافي والصادق عن معنى التصوف لا يدركها إلا الشعراء الأخيار.⁽¹⁾

(1) على حد تعبير ابن سبعين، الذي قال معللاً صعوبة أسلوبه فيما كتبه ومعتذراً لمن يطلب منه مزيد من البيان : « ولا تطلب مني مزيد بيان لأن المجال ضيق والتكلم بالألفاظ على أمر هو من الأمور التي ليست من جنس ما يكتب، وهو من الغرابة بحيث لا يفهمه إلا الشعراء الأخيار ». (أنظر الرسالة الرضوانية، ص 228، تحقيق د.ع. بدوي - القاهرة 1972)

رابعاً : قيمة الكتاب التاريخية والفكرية

لكتاب "محاسن المجالس" مزايا وقيمة ذات وجوه متعددة، فمن ناحية وجدناه يضم عددا من المعلومات والآراء والأفكار الصوفية المستخلصة من مناقشته لمقامات الصوفية ونقدتها وتركيبه لنتائج جديدة مبتكرة بشأنها. ومن ناحية أخرى أن الكتاب اكتسب شهرة وشيوعاً في الأوساط الصوفية في عصره والعصور التي تلت وفاته. ويمكن أن نُجملَ وجوه قيمة الكتاب فيما يلي :

1 - قيمة معرفية : إن ما ضمنه "ابن العريف" من نصوص وآراء وشروحات ومقطعات شعرية ليبين بكل وضوح لاتجاهه الفكري الفقهي والوجداني الصوفي، ومكانته العلمية وريادته في المجال الروحي في زمان ومكان كان يعج بأقطاب التصوف، سواء في غرب أو شرق الأندلس أو بالعودة المغربية. كما يكشف عن جانب هام من شخصيته الفكرية والعلمية ذات الأبعاد الثقافية المختلفة، التي تميزت بالاعتدال والموازنة بين المواقف والاتجاهات المتناقضة : من باطنية وظاهرية، ومذاهب التقليد والقياس (المذمومين)، والنزاعات العقلية (المتطرفة).

كما تتجلى قيمة الكتاب المعرفية في جانب آخر ألا وهو طريقته البيداغوجية في إيصال وترسيخ الأفكار والمعلومات، لدى المتلقين من مريديه. والتي تتبع منهجاً تصاعدياً : من طرح القضية وتوضيحها وتبيان مواطن الضعف والنقص فيها، إلى الإتيان بنقيضها، ثم مقارنتها ومماثلتها بغيرها، ليوصل مستمعيه إلى ما يعتقده حقاً فيها. ثم يدعمها بأدلة نصية وأخرى عقلية، وبمواقف وتجارب وجدانية وذوقية.

2- قيمة نقدية : إن ما يميز كتاب "المحاسن" هو الطابع النقدي ذو الملامح الحكيمة "التيوصوفية" (1) الذي انتهجه "ابن العريف" عند تفحصه للمقامات الصوفية ؛ من تحليل ومناقشة ومقارنة ومماثلة وبرهنة ونقد ودحض.

فهو مثلاً : يُجَرِّحُ في زهد العوام الذي لا يخرج عن دائرة التمرکز حول رغبات الذات ويدحضه، ليثبت مقابله زهد الخواص، المرتبط بالتفكير في رب الذات كنهها وباريها.

ويتفحص محبة العوام القائمة على مطالعة المنة، مقابل محبة الخواص التي لا تتحقق إلا بالحيرة الصوفية إثر إدراك التجلي الإلهي.

كما أنه ينتقد، ثم يدحض، مقام الشوق ويعتبره علة كبيرة مخالفة للشرع كما يعانيها العامة، لأن المطلب الصوفي الحق هو المشاهدة.

وسيلبغ هذا النقد ذروته في كتابه "مفتاح السعادة"، في رسائله وخاصة نقده لفقهاء عصره ولقضاة ومفتين من زمانه، المغترين بمظاهر الأمور، المتشبهين بها. وكذلك نقده لوسائل المعرفة من حسّ وعقل، التي اعتمدها علماء الظاهر.

3 - قيمة تاريخية : مؤلف "محاسن المجالس" ظل تأثيره وأثره حاضرين لزمان ليس بالقصير على المدارس والأوساط الصوفية بالمغرب والأندلس خاصة، وعلى غيرها من الأوساط عامة. فبالإضافة إلى أثره المباشر على رواد كبار من أمثال "أبي الحسن بن غالب"، و"أبي عبد الله الغزال"، و"أبي إسحاق البليقي" و"أبي عبد الله بن المجاهد" وغيرهم. كان له أثر عظيم على أجيال أخرى من أئمة الفكر الصوفي ومنهم :

(1) الثيوصوفية Thaosophie : الحكمة الإلهية : وهو تحليل يعتمد عمق النظرة في التحليل واعتماده المصطلح الصوفي المتميز واستمداده المعرفة من الله مباشرة وأخذ العلم منه بدون واسطة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿... عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علما﴾ (الكهف : 65) والمصطلح استعمل في الأصل في العصر الحديث للدلالة على نظرية بعض الفلاسفة الإشراقيين الذين يعتقدون أنهم يتواصلون مع ربهم مباشرة ويتلقون منه الحكمة والقدرات الخارقة.

(Arman Cuvilier N.V Philosophique P186 - 187)

- "محي الدين بن العربي" الذي اعتمد مؤلف المحاسن واستدل بفقرات منه لتدعيم وتبرير قضايا هامة في نسقه الصوفي في الوجود والمعرفة والقيم الأخلاقية.⁽¹⁾

- و"ابن سبعين" الذي، في إحدى رسائله، أشار لابن العريف ورأيه في المعرفة الصوفية، ورأي أهل التحقيق فيها كما تضمنها كتابه محاسن المجالس، مدعماً لمبحثي المعرفة والوجود عنده. فإذا كان الوجود في مذهبه هو الحق المطلق الذي لا فرق فيه بين الحق والخلق، فإن معرفته لا تتم إلا بالإحاطة التامة، معرفة المحققين، لا معرفة العامة⁽²⁾. كما أشار إلى المحاسن بمناسبة ذكره لمؤلفاته.⁽³⁾

(1) كقوله في الفتوحات ج 1 الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى : « ... كما قال "أبو العباس ابن العريف الصنهاجي" في "محاسن المجالس ... ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل ... » وقوله في الباب الثاني والعشرين : « ... إن أولية الحق تمد أولية العبد وليس لأولية الكون امتداد لشيء ... هكذا صرح به صاحب "محاسن المجالس" ... ». وقوله في ج 2 الباب الثامن والسبعون والمائة، في معرفة مقام المحبة والذي يستشهد فيه ببيت شعري لابن العريف من "محاسنه" عندما بين بأن : « الحب مقام إلهي (...)

وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن "أبي العباس بن العريف الصنهاجي" قالوا : سمعناه يقول وقد سأل عن المحبة فقال : الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد ..

(2) يقول : « فإن تأنس، وإلا فاعلم أن أمرك من فوق التصرف والعلم الثاني والثالث الذي لا حاجة للمقامات فيه ولا مدخل، ويجد عند الخواص نعم وعن الأسماء الحسنی. فإن المقامات لا تصح مع جميع الموجودات في وحدة محضة ؛ ولذلك الخواص لا تفرض في معنى فينعكس قبل فرضه، ويتنوع من صفة نفسه من حيث يثبت، والمعلوم من كل الجهات لا اسم له يميزه عن غيره فإن ذلك ممنوع.

فقل لا حاجة لي بالصورة، ولا منفعة في التوحيد، ولا خير في الفيض، ولا سعادة في الحلول، ولا فائدة في الاتحاد، ولا شوق في مقام، (...) فإن الحق قبل ذلك كله، بعد ذلك كله، عند ذلك كله، عند آخر ذلك كله. وسلم على "ابن العريف" وعرفه لا بتعريفه وخطه على عريفه ونكرة معرفته وكفر معروفه وسرى معروفه وسد معرفه. ثم انظر إلى الإحاطة، وتأمل ما فيها وحرر القول فيها (...) وبالجمله افرض أن المطلوب هو الواحد (...) لا الذي ذكر فيما بعد الطبيعة، بل الذي ذكرته الصوفية، بل الذي وجدته في أدواقها ... » (عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي، رسالة الإحاطة، تحقيق ونشر د. عبد الرحمان بدوي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد 1958، ص 15-16.

(3) حيث يقول في كتابه بَدْ العارف بمناسبة تصنيفه الصوفية إلى فئات : « ... والقسم الأول من القسم الأول من التصوف، هو الذي أدركه رجال الرسالة (القشيرية) وإليه أشار ابن العريف في "محاسنه" ومفتاح الحق (ولعله مفتاح السعادة). وهو مركب من طريق وسلوك ووصول وفناء عن الوصول ... » ص 128، تحقيق جورج كثورة، دار الأندلس ط 1 - 1978.

- وأبي الحسن الششتري الذي استند إلى كثير من أفكاره الواردة بالمحاسن وخاصة في الحب الإلهي والمعرفة الباطنية، وأنشد على منوال قصائده ومقطعاته.⁽¹⁾

وكذلك ابن عباد الرندي⁽²⁾ آخر ممثل للمدرسة الشاذلية بالغرب الإسلامي، الذي تلقى أثر "ابن العريف" وخاصة أثر مؤلفه "محاسن المجالس" عبر "أبي الحسن الشاذلي" و "ابن عطاء الله الإسكندري"، وبالأخص نظرية "ابن العريف" القائمة على الزهد في المقامات والمنازل الصوفية والكرامات، وما إليها من المنز الربانية التي يتعلق بها العوام دون الخواص.⁽³⁾

ولهذا يمكن اعتبار مذهبه الصوفي ورسائله هي استخلاص لأثر "ابن العريف" منها.⁽⁴⁾

(1) انظر ديوان الششتري تحقيق د، محمد العدلوني الإدريسي وسعيد أبو الفيوض ط 1 دار الثقافة الدار البيضاء 2008م.

وهذه نماذج من نظم الششتري المعبرة عما أشرنا إليه.

وانتف عن ظلالك	ارفض الخلق وارقا
ثم غب عن ظلالك	واسبق الكون عشقا
فالمراد في زوالك	وأفنى في الحب سبقا

(الفناء الصوفي، من زجل لهجته أندلسية متفصحة)

لاح الحق ليا	عند نور إلهامي
من عرفت ليا	ودنوت من بدري
نستوي سويا	بمقامي في التوحيد

(التوحيد الصوفي، قارن مع التوحيد عند ابن العريف في محاسن المجالس. والمقطعة من زجل لهجته أندلسية متفصحة الديوان ص 342)

صفات الحق خالص هوأه	من لو محبوب يرى غجاب
إلا صوفي خالص في هوأه	من يههم فيه سواه

(الحب عند الخواص من الصوفية، قارن ذلك مع الحب الإلهي في شعر ابن العريف بالمحاسن).

(2) هو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد مالك بن بكر بن عباد النفري (733هـ - 791هـ) من أهم مؤلفاته "شرح الحكم" لابن عطاء الله السكندري، والرسائل الصوفية.

(3) أنظر حول هذا الموضوع : مقدمة محاسن المجالس بالفرنسية لأسين بلاثوس. وكذلك كتاب تاريخ الفكر الأندلسي تأليف أنخيل بلانثيا، ترجمة حسين مؤنس طبعة 1955 ص 329 وما بعدها.

(4) أنظر مجلة الشرق، بول نويا Paul Nwyia و Al Machriq

XLe année Fas2 Mars - Avril P.129

الفصل الثالث :

النسخ الخطية ومنهج التحقيق

أولا : وصف النسخ الخطية

ثانيا : منهج التحقيق

أولا : وصف النسخ الخطية

لمخطوطه « محاسن المجالس » أو مقامات السادة الصوفية» ، عدة نسخ في المكتبات العامة عبر العالم.

منها الموجودة بمكتبة الأسكوريال، الحاملة للرقم 732 مكتوب بخط مغربي بتاريخ 750 هـ / 1349 م. من الورقة 42 إلى الورقة 54.

والموجودة بمكتبة برلين الوطنية الحامل للرقم 872، مكتوبة بخط مشرقى بتاريخ 859 هـ / 1454 م، من الورقة 148 هـ إلى الورقة 173، وهي في الأصل ملك للمسجد الأعظم بالأزهر، مصر.

والموجودة بالمكتبة البلدية بالاسكندرية، مصر. الحاملة للرقم 37 من فهرسة المواعظ، من الورقة 826.

وكذلك المخطوطة الكائنة بالمكتبة البلدية بالاسكندرية رقمها 173، 3876 من فهرسة الفنون.

أضف إلى ذلك مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 369 ج مؤرخة سنة 881 هـ من نسخ محمد بن علي بن يحيى المغراوي.

ومخطوطه جامعة الملك سعود، بدون تاريخ نسخ، رقمها 710 م ع .

ومخطوطه معهد الدراسات الثقافية الشرقية بجامعة طوكيو تحت رقم 1665.txt.

وقد اعتمدنا من هذه المخطوطات في إخراج نشرتنا، مخطوطتين :

الأولى مخطوطة معهد الثقافة والدراسات الشرقية الذي تحمل رقم 300 بالغلاف

الخارجي، تحت رقم ترتيبى عام : 1665.txt من مجموع fol.1 – 20r تتكون من

37 صفحة ، مقياسها 13,50/17,50، تتكون كل صفحة من 12 سطرا في المتوسط،

ويتكون كل سطر من 9 كلمات. وهي في حالة جيدة كتبت بخط مشرقى لا بأس به من حيث جماليته، بلون واحد، ولعله مداد الصمغ البني. تبتدى فيه الفصول بسطر فوق كلمة "فصل" وتحتها.

حواشيها خالية من أي إضافة أو تعليق أو شرح، وهي من نسخ « محمد سعيد عوض» بتاريخ جمادى الأولى سنة 1250 هـ وهي نسخة حديثة جدا. وقد رمزنا لها ب : ب

في الصفحة الأولى كتب :

محمد سعيد عوض

كتاب في بيان مقامات السادة الصوفية

لابن العريف الصنهاجي قدس سره

ونفعنا الله به في الدارين آمين

في الصفحة الأخيرة كتب :

وتم وكمل والحمد لله رب العالمين على يد الفقير إلى الله محمد سعيد بن حسين عوض عدده 22 جمادى الأولى سنة 1250 من هجرة النبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأهل بيته وعثرته الطيبين الطاهرين، ونفعنا ببركاتهم وبركات المؤلف آمين.

والثانية مخطوطة في ملك جامعة الملك سعود تحت رقم 710 م ع. 3504. عدد أوراقها 33 ق. 3 ق، مقياسها 10x16. نسخة حسنة، خطها نسخ، بأثنائها نقص، كما أن بها أثار بقع وأوراقها منفرطة، تليها أدعية وأشعار في 3 ق، يغيب فيها تاريخ النسخ واسم الناسخ. وتقديرا يمكن القول أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري.

في الورقة الثالثة كتب :

كتاب محاسن

المجالس لابن العريف عفى الله عنه

وفي آخر ورقة : مقطعات شعرية لابن المعتز ولغيره تنتهي بالبيت الشعري
التالي :

وَلَا كَانَ إِذَا أَعْمَتَهَا بُيْتُ مع اسمها نحو قل لا خير في الكسل

تبلغ عدد صفحاتها واحد وأربعون، كل صفحة تتكون من إحدى عشر سطرا،
يتكون كل سطر من خمس كلمات في المتوسط. كتبت بخط مشرقى واضح نسخي
جميل . رمز لها ب : م.

ثانيا : منهج التحقيق

أول ما قمنا به في عنايتنا بنص « مقامات السادة الصوفية » المشهور ب : « محاسن المجالس »، من أجل التقديم له وتحليل مادته ودراسة قضاياها وتحقيقه، هو القراءة المتأنية المتفحصة للنسخ المخطوطة التي توفرت لدينا. والمقارنة بينها، والوقوف على الأقوال والنصوص الواردة بها والتحقق من صحتها ونسبتها والرجوع بها إلى مصادرها.

وحتى نقدم نصا قريبا من النص الأصلي كان أمامنا نهجان :

الأول : أن نعتمد أوضح المخطوطات وأقلها أخطاء ونجعلها هي الأساس، وأن نشير إلى الاختلافات في الهوامش، كما هو معهود عند أغلب المحققين، المستشرقين منهم خاصة. مما سيجعل من النص المحقق نصا تشوبه بعض الأخطاء، وأن القراءة الصحيحة له تكون في بعض الأحيان في الهامش.

الثاني : أن نقدم نصا أقرب إلى الأصل اعتمادا على المخطوطات المعتمدة، ونضع القراءات المختلفة في الهوامش. فيحتوي النص المحقق والهوامش مجموع المخطوطات المعتمدة.

وهذا النهج الأخير هو الذي أعتمدنا، لأنه سيجعل أمام القارئ النص الذي نعتقد أنه أقرب إلى الصحة في صلب الكتاب، وفي الهوامش القراءات الأخرى التي نعتقد أنها أقل ملاءمة في تقويم النص.

كما جعلنا نشرة بلاثيوس « للمحاسن»، نصا مساعدا استأنسنا به رغم الأخطاء التي تخللته، وبعض الفراغات التي ملأناها اعتمادا على مخطوطينا.

بعد ذلك قمنا بتخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. واستخرجنا أسماء الأعلام الواردة في المتن، وعرفنا بأغلبهم. كما قمنا بتبيان المصطلحات الصوفية والفلسفية والصوفية الفلسفية وشرحها، اعتمادا على المعاجم والقواميس المختصة. وقد ذيلنا تحقيقنا هذا بالفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية

- فهرس الأحاديث النبوية

- فهرس المصطلحات

- فهرس الأعلام

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

وفي الختام نتوجه بالشكر إلى كل الذين ساعدونا على إنجاز هذا العمل وإخراجه، ونذكر منهم على الخصوص :

م. عبد الوافي بن م. محمد العدلوني الفاطمي.

م. عبد السلام بن م. الوالي العدلوني الباهي

س. محمد بن إبراهيم بن ادريوش الماجدي .

م. أحمد بن م. الحسن العدلوني الرجائي.

م. علي بن عبد الإله أعراب الوافي.

الآنسة سلمى بنت محمد بشار العدلوني الزينبي.

الآنسة أميمية بنت م. إدريس العلوي الفانزي.

الآنسة فاطمة بنت الحسن العدلوني الرجاني.

م. أيمن بن م. عبد الباقي العدلوني السنائي

البيضاء في 15 شتنبر 2014

أ. د. محمد العدلوني الإدريسي

أستاذ الفلسفة والتصوف الإسلاميين

القسم الثاني

**أولاً : النص المحقق : كتاب محاسن المجالس أو بيان في مقامات
السادة الصوفية**

ثانياً : صور المخطوطات المعتمدة

ثالثاً : ملحقات

أولاً : النص المحقق :

كتاب محاسن المجالس

أو

بيان في مقامات السادة الصوفية لابن العريف الصنهاجي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.⁽¹⁾

قال الأستاذ العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الصوفي الصنهاجي⁽²⁾

رضي الله عنه⁽³⁾ : قد⁽⁴⁾ استخرت الله تعالى في جمع فصول من محاسن الكلام الصادرة عن أهل الإلهام تسهل على المريد صعوبة طريقه، وتُسَيِّدُ للمراد دعائم صدقه وتحقيقه، وتحمل سامعها على ارتكاب الأشد في تحري الأسد⁽⁵⁾. فمنها ما نقلته عن معانيه، ومنها ما فتح الله به من خزائنه.

وسميتها « بمحاسن المجالس » ، يتجلى بها من وَسَمَ نفسه بعلم التذكير، ويطرز مجالسه منها بالقدر اليسير. فهي شبكة الألباب وملاطفة الأحباب، وتحف القلوب من خزائن الغيوب. نفع الله بها مستمعها وقارئها والمحبين فيها، بفضله ورحمته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته⁽⁶⁾.

(1) في « ب » : و « صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم »، ناقصة.

(2) في « ب » : أحمد بن محمد الصوفي.

(3) في « س » : رحمه الله.

(4) في « م » : ناقصة.

(5) في « س » : الأشد، وفي م : في تحري الأسد : ناقصة.

(6) في « ب » : الفقرة من : « قد استخرت الله... » إلى « ..سيدنا محمد وآله وعترته » ناقصة.

وفي م : الفقرة من : « ما نقلته عن معادنه » إلى : « وآله وعترته » ناقصة.

الفصل الأول : المعرفة محجتي والعلم حجتي

فصل المعرفة محجتي والعلم حجتي، فالعلماء لي والعارفون بي، والعارف يستدل بي والعالم يستدل لي⁽¹⁾. علق العباد بالأعمال والمريدون بالأحوال والعارفون بالهمم، والحق وراء ذلك كله ليس بينه وبين العباد نسبة⁽²⁾ إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت إلا⁽³⁾ الأزل، وما بقي فعمى وتبليس. فالأعمال للجزاء، والأحوال⁽⁴⁾ للكرامات⁽⁵⁾ والهمم⁽⁶⁾ للوصول، وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم⁽⁷⁾.

(1) في « س » : فالعالم يستدل إلى والعارف يستدل بي، فالعلماء لي والعارفون بي.

(2) في « س » : نسب.

(3) في « ب » : غير.

(4) الأحوال : ج حال : وهو ما يرد على القلب من طرف أو حزن أو قبض أو بسط ... من غير تصنع، ويسمى الحال أيضا بالوارد، ولهذا يقال أن الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه. ومن شرط الحال كما يرى «ابن عربي» : أن يزول ويعقبه الميل وأن يصفو، ولا يعقبه الميل. ومن هنا نشأ الخلاف، فمن أعقبه الميل قال بدوامه، ومن لم يعقبه الميل قال بعدم دوامه. (اصطلاحات ابن عربي ص 55)

(5) الكرامات : ج كرامة : فالكرامات للأولياء، والمعجزات للأنبياء والفرق بين الكرامات والمعجزة، أن الأولى تصدر عن قوة همة العبد وعلى علم منه، على حين أن المعجزة لا نصيب لهمة النبي فيها. والفرق بين الكرامة والسحر: أن الأولى حقيقة وجودية، أما السحر ليس له حقيقة وجودية (انظر المعجم الصوفي. د . سعاد الحكيم، 9633 وما بعدها.

(6) الهمم : ج : همة. يميز الصوفية عادة بين همة الأفاقة (طلب الباقي) وهمة الأنفة (الأنفة من طلب الأجر) وهمة أرباب الهمم العالية، وهي المراد هنا، وهي التي لا تتعلق إلا بالحق لا بغيره، فهي لا ترضى بالأحوال والمقامات ولا بالوقوف مع الأسماء والصفات، ولا يقصد إلا عين الذات. (انظر: الكاشاني معجم المصطلحات الصوفية) وفي م : من بداية الفصل الأول إلي الهمم للموصول : ناقصة.

(7) في « ب » : الرسوم .

فالإشارة نداء على رأس العبد⁽¹⁾، وبوح بعين العلة، والعلم عن القلوم كالأسباب على الغيوب، وما سوى الحق حجاب عنه. ولولا ظلمة الكون لظهر نور الغيب، ولولا فتنة النفس لارتفعت الحجب، ولولا العلائق لانكشفت الحقائق، ولولا العلل لبرزت القدرة، ولولا حظ⁽²⁾ التكلف لصفت المعرفة، ولولا الطمع لصحّت⁽³⁾ المحبة، ولولا حظ باق لأحرق الاشتياق الأرواح، ولولا توهم⁽⁴⁾ العبد لشوهد الرب. فإذا انكشف الحجاب تجسم هذه الأسباب وارتفعت العوائق بقطع العلائق حينئذ⁽⁵⁾ كان كما قيل⁽⁶⁾.

شعر⁽⁷⁾

بذلك سرّ طال عنك اكتمامه	ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيه	ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطّبت	على منكب الكشف المصون ختامه
وجاء حديث لا يمل سماعه	شهي إلينا نثره ونظامه
إذا سمعته النفس طاب نعيمها	وزال عن القلب المعنأ غرامه ⁽⁸⁾
ودارت علينا خمرة كثرية	فخما رنا خمر الهوى ومدامه ⁽⁹⁾

(1) في « م » : البعد

(2) في « س » : حظ : ناقصة.

(3) في « ب » و « س » :

(4) في « س » : توهم ناقصة.

(5) في « س » : ناقصة.

(6) في « ب » : ناقصة وفي م : كما قال القائل.

(7) « ب » و « م » : ناقصة

(8) (9) « س » و « م » : البيت (5) و (6) ناقصان.

الفصل الثاني : الإرادة حلية العوام

فصل الإرادة⁽¹⁾ حلية العوام وهي تجريد القصد إلى الله تعالى⁽²⁾ وجزم⁽³⁾ النية والجد في الطلب له⁽⁴⁾، وذلك في⁽⁵⁾ طريق الخواص نقص وتفرق ورجوع إلى الأسباب⁽⁶⁾ والنفس، فإن إرادة العبد عين حظه وهو رأس الدعوى، وإنما⁽⁷⁾ الجمع والوجود⁽⁸⁾ فيما يراد بالعبد من الله⁽⁹⁾، لا فيما يريد. قال تعالى⁽¹⁰⁾ : ﴿ وَإِنْ يَرَوْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ﴾⁽¹¹⁾ فيكون مراده ما يراد به مما ورد الشرع بإرادته واختياره ما يختار له بالشرع⁽¹²⁾ ؛ إذ لا اختيار للعبد مع سيده⁽¹³⁾ ولا إرادة له⁽¹⁴⁾. مع إرادته فيما شرع⁽¹⁵⁾ كما قيل :

أُرِيدُ وَصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي فَاتْرُكْ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

-
- (1) الإرادة : وهي شرارة من نار المحبة في القلب تجعل السالك مستعدا لدواعي الحق، أو هي الإقبال بالكلية على الحق، والإعراض عن الخلق، وهي ابتداء المحبة. ويعرفها ابن عربي أنها : لوعة في القلب ويراد بها عند القوم : إرادة التمني وهي منية، وإرادة الطبع ومتعلقها الحظ النفسي، وإرادة الحق سبحانه ومتعلقها الإخلاص. (انظر معجم المصطلحات ص 53)
- (2) في « ب » و « م » : إلى الله تعالى ناقصة.
- (3) في « ب » : وعزم
- (4) « ب » و « م » : ناقصة.
- (5) « ب » و « م » : ناقصة.
- (6) في « ب » : ورجوع إلى الأسباب، ناقصة.
- (7) في « ب » :
- (8) في « س » : الوجود، ناقصة.
- (9) « ب » و « م » : من الله، ناقصة.
- (10) « ب » و « م » : قال تعالى ناقصة.
- (11) يونس : 107.
- (12) « ب » و « م » : ناقصة
- (13) في « س » : ربه
- (14) في « ب » : ولا إرادة ولا حظ
- (15) في « ب » و « م » : مع إرادته فيما شرع، ناقصة.

وحكي عن بعض المشايخ أنه قال : « أوقفني الحق بين يديه سبحانه ثم قال لي : أتريد التحف ؟ قلت لا . قال أفتريد الطرف⁽¹⁾ ؟ فقلت لا . قال أفتريد الغرف ؟ قلت لا . فما تريد ؟ قلت أريد أن لا أريد، فإن إرادتي لا تساوي شيئا، لأنني جاهل من كل الوجوه وأنت يارب عالم بكل الوجوه . فاختر لي ما تعلم أن فيه الخيرة، ولا تجعل تدميري فيما فيه اختياري وتدبيرِي ﴿ وريكَ يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾⁽²⁾ .»

وحكي⁽³⁾ عن أبي يزيد⁽⁴⁾ رضي الله عنه أنه قال : « ركبت مركبة الصدق⁽⁵⁾ حتى بلغت الهوى، ثم⁽⁶⁾ ركبت مركب الشوق حتى بلغت السماء، ثم⁽⁷⁾ ركبت مركب المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت : يا أبا يزيد ما تريد ؟ قلت أريد أن لا أريد لأنني أنا المراد وأنت المريد. » ف قيل الآن بلغت ما تريد⁽⁸⁾ .

فصححة الإرادة بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون تحت⁽⁹⁾ مجاري الأقدار . فتكون⁽¹⁰⁾ كالमित بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء كما قيل :

أبى⁽¹¹⁾ القلب لا أم عمر⁽¹²⁾ فأصبحت صفيته⁽¹³⁾ إن زارها⁽¹⁴⁾ أو تجنبا
عدو لمن عادت وسلم لسلمها ومن قربت لئلى أحب وقربا

(1) في « ب » : الطرق وفي م : فتريد

(2) القصص : 28.

(3) في « س » و « م » : ناقصة.

(4) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي مات حوالي 261 هـ . أنظر عن أقواله وأخباره الرسالة القشيرية، ط دار الكتاب العربي ص 13، 14.

(5) الصدق : هو استواء السر والعلانية وذلك بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرا وباطنا..

(6) (7) في « ب » :

(8) في « س » و « م » : ف قيل الآن بلغت ما تريد، ناقصة

(9) في « س » و « م » : إلى.

(10) في « س » : فيكون.

(11) في « ب » : أبا.

(12) في « ب » : عمرو.

(13) في « ب » و « س » : صفية.

(14) في « ب » : أقدارها.

الفصل الثالث : وأما الزهد فإنه للعوام

فصل وأما الزهد⁽¹⁾ فإنه للعوام أيضا، فإنه حبس النفس عن الملذات⁽²⁾ وإمساكها بعد تفريق المجموع وترك طلب المفقود⁽³⁾، وعن فضول الشهوات ومخالفة دواعي الهوى وترك ما لا يعني من كل الأشياء⁽⁴⁾. وهذا نقص في طريق الخواص، لأنه تعظيم للدنيا واحتباس على أبعادها⁽⁵⁾، وتعذيب للظاهر بتركها، مع تعلق الباطن بها، والمبالاة بالدنيا عين⁽⁶⁾ الرجوع إلى ذاتك، وتضييع الوقت في منازعة نفسك وشهود حسك وبقائك معك على حرصك⁽⁷⁾.

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿....الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا﴾ الآية⁽⁸⁾ وإلى قوله لمن أعطاه الدنيا بحذافيرها : ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب﴾⁽⁹⁾ فعافى⁽¹⁰⁾ باطنه من شهودها، وظاهره من

(1) الزهد : هو بغض الدنيا والإعراض عنها، ولا يبلغ أحد حقيقته حتى يجمع بين عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رئاسة. (الرجاني ، الاصطلاحات)

(2) في « س » و « م » : الملذذات.

(3) في « ب » و « م » : بعد تفريق المجموع وترك طلب المفقود : ناقصة.

(4) في « ب » و « م » : كل شيء.

(5) في « م » : انتقادها وفي « ب » : عند الانقياد لها.

(6) في « ب » : عن.

(7) في « ب » و « م » : على حرصك : ناقصة.

(8) القصص : 83، والآية ناقصة في ب ، م .

(9) ص : 39 .

(10) في « ب » و « م » : وذلك حيث عافا.

التعلق بها. فالزهد على الحقيقة (1) صرف (2) رغبة القلب (3) إليه وتعلق الهمة (4) به والاستغفال به عن كل شيء يشغل عنه (5)، ليتولى هو سبحانه حسم هذه الأسباب عنك وتكون معه كالطفل ابن شهر مع أمه لا إرادة له ولا حكم مع أمه (6). كما قيل عن بعض المريدين (7) سأل بعض الشيوخ فقال : أيها الشيخ بأي شيء تدفع إبليس عنك (8) إذا قصدك (9) بالوسوسة ؟ فقال له (10) الشيخ : إنني لا أعرف إبليس فأحتاج (11) إلى دفعه، وإنما (12) نحن صرفنا هممنا إليه (13) وملأنا قلوبنا (14) بذكره (15)، فكفانا ما دونه. وكما (16) قيل :

عَلِقْتُ بِجَبَلٍ مِنْ جِبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ (17)
تَسْتَرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَنِّي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامُ مَا إِسْمِي وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْتُ مَكَانِي

-
- (1) في « ب » و « ب » : الحقيقة ناقصة
(2) في ب : فاصرف، وفي م : صَرَفَ .
(3) في « ب » : الهمة، وفي م : الرغبة فيه.
(4) في « ب » : الباطن.
(5) في « س » و « م » : يشغل عنه ناقصة، وفي م : كل شيء سواه.
(6) الجملة من : وتكون معه.... ناقصة .
(7) المريدون : ج مريد : وهو من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته، وهو سالك الطريق بالمجاهدة الشاقة والمكابدة والصبر على البلاء رجاء الحصول على النعماء، (الحفني م م ص) وفي «م» : أن بعض المريدين.
(7) في « س » و « م » : عنك ناقصة.
(8) في « س » : أكمذك.
(9) في « ب » : ناقصة.
(10) في « س » : ناقصة.
(11) في « ب » : فكيف أحتاج.
(12) في « س » و « م » : ناقصة.
(13) في « س » : ناقصة.
(14) في « ب » و « م » : ناقصة
(15) في « ب » و « م » : ناقصة.
(16) في « س » : وفي معنى وفي « م » : كما.
(17) في « س » و « م » : البيت الأول ناقص.

الفصل الرابع : وأما التوكل فإنه للعوام

فصل وأما التوكل فإنه للعوام أيضا لأنه كلك أمرك إلى مولاك والتجاؤك إلى علمه ورأفته ليدبر أمرك ويكفيك همك، وهذا في طريق الخواص نقص⁽¹⁾ وعمى عن الكفاية، ورجوع إلى الأسباب، لأنك رفضت الأسباب⁽²⁾ ووقفت مع التوكل، فصار عوضا⁽³⁾ عن تلك الأسباب، فكأنك معلق بما رفضته من حيث معتقدك الانفصال عنه.

والتوكل عند القوم هو التوكل في تخليص القلب عن علة التوكل، وهو أن يعلم أن الله تعالى لم يترك أمرا مهملًا بل فرغ عن⁽⁴⁾ الأشياء وقدرها، وإن اختلف منها شيء في المعقول أو تشوش⁽⁵⁾ في المحسوس أو⁽⁶⁾ اضطرب في المعهود فهو المدبر⁽⁷⁾، وشأنه سوق المقادير إلى المواقيت.

فالتوكل من أراح نفسه عن كد النظر ومطالعة السبب، سكونا إلى ما سبق من القسمة مع استواء الحالين عنده وهو أن يعلم أن الطلب لا يجمع⁽⁸⁾ التوكل⁽⁹⁾ لا يمنع، إذ الله تعالى بالغ أمره⁽¹⁰⁾.

(1) في «س» و «م» : ناقصة

(2) في «ب» : لأنك... ناقصة.

(3) في «ب» و «م» : بدلا من

(4) في «ب» : من

(5) في «س» و «م» : شوش.

(6) في «ب» و «م» : و

(7) في «ب» و «م» : المدبر له.

(8) في «م» : لا ينفع

(9) في «س» : وأن التوكل في م : التوكل ناقصة، والتوكل كما يرى الجرجاني هو : الثقة بما عند الله.

(10) في «ب» : إذ الله : ناقصة وفي «م» : إن الله بالغ أمره : ناقصة.

ومتى طالع بتوكله عوضا كان توكله مدخولا وقصده معلولا. فإذا خلص من رق هذه الأسباب ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله تعالى عليه كفاه الله كل مهم.

كما حكى أن « موسى » عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد كثير الذناب، وكان قد بلغ به التعب غاية، فبقي متحيرا إن اشتغل بحفظ الأغنام عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب. وإن هو طلب الراحة والسكون بالنوم عاثت الذناب في الأغنام. فرمق بطرفه نحو السماء وقال : أحاط علمك ونفذت إرادتك وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه فنام. فلما استيقظ وجد ذنبا واضعا عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام فتعجب⁽¹⁾ موسى عليه السلام من ذلك، فأوحى الله عز وجل⁽²⁾ إليه : « ياموسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد »⁽³⁾.

وحكى أن الجراد وقع على زرع كان "لرابعة"⁽⁴⁾ العدوية، فلما جاءها الخبر خرجت فرأت الجراد قد ركبه⁽⁵⁾، فرمقت إليها بطرفها نحو السماء وقالت : إلهي رزقي قد تلفت به، فإن شئت فاطعم زرعي هذا⁽⁶⁾ أعداءك⁽⁷⁾، وإن شئت فاطمعه أوليائك، فطار الجراد جميعه عنه، وكما قيل :

إذا شئت أن أرض وأن ترضى وتملكي زمامي ما عشنا معا وعنايا
ألا فارمقي الدنيا بعيني واسمعي بأذني فيها وانطقي بلسانيا

(1) في « ب » : فعجب، وفي م : الفقرة من : « ومتى طالع بتوله » إلى « يرعى الأغنام فتعجب » ناقصة

(2) في « ب » : تعالى، وفي « م » : عليه السلام : ناقصة

(3) الحديث : موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

(4) في « ب » و « م » : على زرع لرابعة : ورابعة العدوية هي رابعة القيسية البصرية أشهر النساء

العارفات بالله، وقولها جاء في جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 69

(5) في « س » و « م » : ارتكبه و.

(6) في « ب » و « م » : ناقصة

(7) في « ب » و « م » : أعداءك.

الفصل الخامس : وأما الصبر فهو من منازل العوام أيضا

فصل وأما الصبر فهو من منازل العوام أيضا، لأن الصبر⁽¹⁾ حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن شكواه، ومكابدة الغصص في تحمله، وانتظار الفرح عند عاقبته. وهذا في طريق الخاصة تجلد ومقاومة وجرأة ومنازعة، فإن حاصله راجع إلى كتمان الشكوى في تحمل الأذى بالبلوى، والحقيقة عند القوم⁽²⁾ الخروج عن الشكوى بالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى.

وقيل أنه ثلاث مقامات⁽³⁾ مرتبة فوقها فوق بعض :

فالأولى : التصبر : وهو تحمل مشقة وتجرع غصة في التثبت⁽⁴⁾ على ما يجري من الحكم، وهذا هو الصبر لله، وهو صبر العوام.

والثاني : الصبر : وهو⁽⁵⁾ نوع سهولة تخفف⁽⁶⁾ على المبتلى بعض الثقل وتسهل عليه صعوبة الموارد. وهذا هو الصبر بالله، وهو صبر المريدين.

والثالث : الاصطبار : وهو التلذذ بالبلوى والاستبشار باختبار المولى ، وهذا هو الصبر على الله، وهو صبر العارفين.

(1) الصبر : وهو عند القوم على ثلاثة أوجه: متصبر وصبار : فالمتصبر من صبر في الله تعالى. فمرة بصبر على المكارم، ومرة يعجز، والصابر من يصبر في الله ولله. ولا يجزع ولا يتمكن من الجزع ويتوقع منه الشكوى. والصبار الذي صبره في الله ولله وبالله، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة، لا من جهة الرسم والخلقة. (الحفني. م. المصطلحات) وفي : م لانه، الصبر : ناقصة

(2) في " ب " : ناقصة، وفي " م " : من "والحقيقة عند القوم " إلى "باختيار المولى " ناقصة.

(3) في النص المطبوع : مقامان

(4) في : " ب " و " م " : الثبات

(5) في " س " : هو ناقصة.

(6) في " ب " و " م " : يخفف

وقيل في قول "أيوب" عليه السلام : ﴿ مسني الضر ﴾⁽¹⁾. كان في كل جراحة من جسده حصة من البلاء، وكان قد أنس بذلك البلاء وحصل له إلتذاذ⁽²⁾ به كتلذذ الأجانب بالنعماء. فلما كان بعض الأيام سقطت دودة عن مكانها ففقد أثرها في ذلك المكان، فقال : « مسني الضر » من فقد ما أنعمت به علي من لباس أنبيائك وأوليائك، وما⁽³⁾ أهلتني له من البلاء⁽⁴⁾، فإن الحق تعالى⁽⁵⁾ ينعم بالابتلاء ويبتلي بالنعماء. وقديما قيل في ذلك⁽⁶⁾

فهل سمعتم بصب⁽⁷⁾ سقيم قلب⁽⁸⁾ سليم

منعم بعذاب معذب بنعيم⁽⁹⁾

وقيل⁽¹⁰⁾ :

ألفت الضنا حتى أنست بمكته⁽¹¹⁾ فلو زال عن جسمي بكنه الجوارح

وحكي⁽¹²⁾ أن " رابعة العدوية " كانت مجتازة ذات يوم⁽¹³⁾ مع نفر من أصحابها لبعض حاجتها⁽¹⁴⁾. فضرب رأسها ركن جدار فشجها فريضه وجرى الدم على

(1) الأنبياء : 83 الآية : { وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وهو أرحم الراحمين }

(2) في " ب " : التلذذ في البلاء.

(3) في " ب " : فأهلتني : وفي " م " : من هذا البلاء

(4) في " ب " : وهو البلاء في " م " : من هذا البلاء

(5) في " ب " : سبحانه و " م " : جل ذكره.

(6) في " ب " : وقد قيل

(7) في " ب " : يصيب

(8) في " ب " : طرف وفي " م " : جسم

(9) في " ب " : الشعر في بيت واحد

(10) في " ب " : وقال غيره وفي " م " : وقال قائلهم

(11) في " ب " : بمكته

(12) في " ب " و " م " : وقيل

(13) في " ب " : ناقصة وفي " م " : في بعض الأيام

(14) في " ب " : حاجتها

وجهها وثيابها وبدنها⁽¹⁾ وهي لا تلتفت إلى ذلك ولا تكثر به. فقال بعض أصحابها : أما تحسن بما جرى عليك وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك؟! فالتفت إليهم⁽²⁾ كالمستطرقة لذلك والمتيقظة⁽³⁾ من غفلتها⁽⁴⁾، ثم أقبلت عليهم كالمعتذرة من غفلتها وقالت : يا إخواني⁽⁵⁾ التذاذي بموافقة مراده فيما جرى⁽⁶⁾، شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال.

(1) في " ب " و " م " : فشجها ناقصة

(2) في " ب " و " م " : ناقصة.

(3) في " ب " : ناقصة.

(4) في " ب " : ناقصة

(5) في " ب " : المستيقظة

(6) في " م " : فيما جرى : ناقصة.

الفصل السادس : وأما الحزن فهو من منازل العوام

فصل وأما الحزن فإنه من منازل العوام⁽¹⁾، وهو انخلاع عن السرور وملازمة الكآبة لتأسف على فائت أو توجع لممتنع. وإنما كان من منازل العوام⁽²⁾، لأن فيه نسيان المنّة والبقاء في رق الطبع. وهو في مسالك الخواص لأن معرفة الله تعالى⁽³⁾ جلا⁽⁴⁾ نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.⁽⁵⁾

وقيل أوحى الله تعالى إلى "داود" عليه السلام : بي فافرح، وبذكرى فتلذذ⁽⁶⁾، وبمعرفتي فافتخر، فَعَمَّا قَلِيلٍ أَفْرُغُ الدَّارَ مِنَ الْفَاسِقِينَ وَأَنْزَلَ لِعَنَتِي عَلَى الظَّالِمِينَ. وقيل أن "عتبة الغلام" دخل يوما⁽⁷⁾ على "رابعة العدوية" وعليه قميص جديد وهو يتبخر في مشيته، بخلاف ما سبق من عاداته. فقالت له : يا عتبة ما هذا التَّيُّ والعُجب الذي لم أره في شماتتك قبل اليوم ؟ فقال لها : يا رابعة ومن أولى بهذا مني وقد أصبح لي مولا وأصبحت له عبدا. وفي ذلك قيل شعر⁽⁸⁾ :

يُريحُنِي⁽⁹⁾ إِلَيْكَ الْوَجْدُ حَتَّى أَمِيلُ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ

وَيَأْخُذْنِي لِذِكْرِكُمْ اهْتِرَازُ كَمَا نُشِطُ الْأَسِيرَ مِنَ الْعِقَالِ

(1) في "س" : العامة. و «م» : فهو من منازل العامة

(2) في "س" و "و" م : العامة.

(3) في "س" و "و" م : جل جلاله

(4) في "س" : جلى، وفي "م" : ملأ

(5) في "ب" و "و" في "م" : خير مما يجمعون : ناقصة.

(6) في "م" : فينتعم. (7) في "س" : في بعض الأيام، وفي "م" : ناقصة.

(8) في "س" : قال قائلهم شعر وفي : شعر ناقصة.

(9) في "ب" و "و" م : : يريحني.

الفصل السابع : وأما الخوف فهو من منازل العوام

فصل وأما الخوف⁽¹⁾ فهو من منازل العوام، لأنه انخلاع عن السرور وملازمة الخوف والتيقظ له بالوعيد⁽²⁾، والحذر من سطوة العقاب، وهو من منازل العوام⁽³⁾. وليس في منازل الخواص خوف لأنه لا يليق⁽⁴⁾ للعبد أن يعبد مولاه على وحشة من نظره ونفرة⁽⁵⁾ من الأنس به عند ذكره. قال الله تعالى⁽⁶⁾ : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ﴾⁽⁷⁾ وأما أهل الاختصاص فإنهم جعلوا الوعيد منه وعدا والعذاب فيه عذاباً لأنهم شاهدوا المبتلى⁽⁸⁾ في البلاء والمعذب في العذاب، فاستعذبوا⁽⁹⁾ ما وجدوا في جنب⁽¹⁰⁾ ما شاهدوا⁽¹¹⁾. وفي ذلك نشدوا :

سُقْمِي فِي الْحَبِّ عَافِيَتِي	ووجودي في الهوى عذمي
وعذاب ترضون به	في فمي أحلى من النعم
ما لُضِرَّ في محبتكم	عندنا، والله، من أَلَم

(1) الخوف عند القوم : هو الحياء من المعاصي والمناهي والتألم فيها. قال النبي ص : أنا أخوفكم لله تعالى. وأوحى إلى داود خفني كما يخاف السبع الفأر. وقال : من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء. وقال أبو القاسم الحكيم : الخوف على ضريين : رهبة وخشية، فصاحب الرهبة يلتجئ إلى المرهب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب. (انظر : م . المصطلحات :) وابن عربي يعتبره : ما تجذر من المكروه في المستأنف (الاصطلاحات) وفي م : هو من منازل العوام : ناقصة

(2) في " ب " و " م " : هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن والتقيظ لنداء الوعيد.

(3) في " ب " : العوام أيضاً

(4) في " ب " : لا يصلح، وفي " م " : لا يؤمن

(5) في " ب " : ونفره.

(6) في " ب " و " م " : قال الله تعالى، ناقصة

(7) الشورى : 22.

(8) في " ب " و " م " : المبتلى (9) في " س " : فعدموا. (10) في " ب " و " م " : ناقصة.

(11) فكرة العذاب عذوبة قد استثمرها ابن عربي في نفي الجزاء بالمعنى الديني عن الفاعل، فالعباد سواء

كانوا من أهل النار أو الجنة فإن مآلهم النعيم وإن اختلف نعيم هؤلاء عن أولئك : « فقد علمت من يتلذذ ومن يتألم وما يعقب كل حال من الأحوال وبه سمي عقوبة وعقاباً وهو سانع في الخير والشر، غير أن العرف

سماه في الخير ثواباً وفي الشر عقاباً...» فصوص الحكم ج : 1 ص : 96.

ومنهم من تحكم عليه سلطان الوجد حتى جاوز في الاقتراح الحد، فطلب النعيم في العذاب حين طلب الأمان منه أكثر الأحاب قال، وقيل (1) أنها "لأبي يزيد": (2)

أريدك لا أريدك للشواب ولكن (3) أريدك للعقاب
وكل مأربي قد نلت منها سوى ملذوذٍ وحدي بالعذاب
فكيف أرى مرادكم عذابا وفي مضمونه كُشف الحجاب (4)

ومن كان مستغرقا في المشاهدة حال (5) وفي بساط الأنس فلا يبقى للخوف بساحته إلام (6)، لأن المشاهدة توجب الأنس والخوف يوجب القبض.
وقيل أن الشبلي (7) رضي الله عنه رأى قوما مجتمعين وشابا قد بسط وضرب مائة سوط فلم يتألم لذلك (8)، ولا استغاث ولا نطق. وكان ضئيل (9) الخلقة، نحيل (10) الجسم، ثم بعد ذلك ضرب سوطا واحدا فصاح واستغاث وتألم منه (11).

(1) في "ب" و "م" : ويقال.

(2) وهو أبو يزيد طيفور البسطامي، كان جده مجوسيا وأسلم، وكانوا ثلاثة إخوة : آدم وطيفور وعلي، كلهم كانوا زهادا، وكان أبو يزيد أرفعهم حالا. توفي حوالي سنة 261 هـ. من أقواله : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

(3) في "ب" : ولكني

(4) في "س" و "م" : البيث الثالث ناقص

(5) في "ب" : جار . وفي "م" : فاستغراقه، ومن حال إلى المشاهدة : ناقصة

(6) في "ب" : الماء

(7) الشبلي هو : أبو بكر، بغدادي المولد والمنشأ، كان شيخ زمانه. صحب الجنيد، وكان يبالغ في مجاهدة النفس، مات سنة 334 هـ من أقواله : خير كسب المرء عمل يمينه. (عن أخباره أنظر الرسالة القشيرية).

(8) في "ب" و "م" : ناقصة

(9) في "ب" : ضعيف.

(10) في "س" : ناحل.

(11) في "ب" و "م" : ناقصة.

فلما أطلق سبيله لبس ثيابه⁽¹⁾ وانصرف. فعجب الشبلي من حاله⁽²⁾ فتبعه خطوات ثم قال له : يا هذا لقد عجبت من قوة صبرك مع ضعف جسمك. فقال له : ياشيخ الهمم تحمل البلايا لا الأجسام. فقال له الشبلي⁽³⁾ قد رأيتك صبرت على المائة وعجزت عن الواحدة الأخيرة وقلقت. فقال : نعم يا أخي، إن العين⁽⁴⁾ التي كنت أعاقب لأجلها كانت التسعة والتسعين⁽⁵⁾ ناظرة⁽⁶⁾ إلي فكنت ألتذ بما يجري علي لاستغراقي في مشاهدتها، وفي السوط الأخير احتجبت عني⁽⁷⁾ فبقيت مع نفسي، فوجدت الألم.

وقيل في قوله تعالى : ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾⁽⁸⁾ دليل⁽⁹⁾ خطابه تعالى أن المؤمنين لهم عذاب، ولكن ليس بشديد وإنما كان عذاب الكافرين شديداً⁽¹⁰⁾، لأنهم لا يشاهدون المعذب في العذاب⁽¹¹⁾. والعذاب على⁽¹²⁾ شهود المعذب عذب، والثواب على الغفلة عن المعطي صعب، وما لجرح إذا أرضاكم ألم⁽¹³⁾. فالخوف⁽¹⁴⁾ من منازل العوام، وللخواص الهيبة، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف، لأن الخوف يزول بالعمى وبالأمن ومنتهاه خوف الشخص على

(1) في "س" و "م" : فأطلق سبيله

(2) في "ب" : من ذلك حاله.

(3) في "س" : الشيخ، وفي "س" و "ب" : قد ناقصة

(4) في "س" : ناقصة وفي "م" : إن : ناقصة

(5) في "س" و "م" : في المائة

(6) في "ب" : كانت ناظرة

(7) في "س" : ناقصة

(8) الشورى : 26

(9) في "ب" : دليله. في "م" : من دليل إلى شديد : ناقصة

(10) في "س" : شديداً.

(11) في "ب" و "م" : لا يشاهدون الذي يعذبهم، والمؤمنون عذابهم ليس بشديد لأنهم يشاهدون المعذب.

(12) في "م" : مع.

(13) وما ألم : ناقصة .

(14) في "ب" : إذا .

نفسه من العقاب، فإن أمن من العقاب زال الخوف، والهيبة⁽¹⁾ لا تزول أبداً، لأنها مستحقة للرب تعالى بوصف التعظيم والإجلال، وذلك الوصف مستحق له على الدوام. وهذه الهيبة تعارض المكاشف في أوقات المناجاة⁽²⁾، وتصون المشاهد أحيان المشاهدة⁽³⁾ وتقصم⁽⁴⁾ المعاین بصدمة العزة، وفيه قال قائلهم⁽⁵⁾ :

أطرقت من إجلاله	اشتاقه فإذا بدا
وصيانة لجماله	لا خيفة بل هيبة
وأروم طبق خياله	واصد عنه تجلدا

(1) الهيبة هي : أثر مشاهدة جلال الله من القلب، وقد يكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال.

(ابن عربي : الاصطلاحات)

(2) في " ب " : أوقات المناجاة ناقصة وفي " م " : المناجاة

(3) في " س " : المسامرة

(4) في " ب " : وتقسم

(5) في " ب " : ومنه قال قائلهم شعر. في " م " : وفي ذلك قبل.

الفصل الثامن : وأما الرجاء فهو من منازل العوام

فصل وأما الرجاء⁽¹⁾ فهو من منازل العوام⁽²⁾، وهو انتظار غائب وطلب مفقود، وهو أضعف منازل القوم في هذا الشأن، لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه آخر⁽³⁾. وهو وقوع في الرعونة⁽⁴⁾ ولفائدة واحدة نطق به⁽⁵⁾ التنزيل، فقال تعالى: ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾⁽⁶⁾. يريد على العوض من أجل المجاهدة، وقال: ﴿من كان يرجو لقاء الله، فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم﴾⁽⁷⁾.

ووردت به السنة⁽⁸⁾ لفائدة، وهي تبريد حرارة الخوف، لنلا يفضي بصاحبه إلى اليأس والقنوط⁽⁹⁾، فهو دواء⁽¹⁰⁾ لمرض الخوف، ولا يعرض ذلك المرض إلا لعوام هذه الطائفة.

أما الخواص⁽¹¹⁾ فالرجاء⁽¹²⁾ عندهم شكوى⁽¹³⁾ ومطالبة عوض⁽¹⁴⁾ وعمى، لأن العبد من سيده⁽¹⁵⁾ على سبيل البر والألطف⁽¹⁶⁾، وفي بحر الجود والألطف⁽¹⁷⁾

(1) الرجاء هو : وعند القوم هو تعلق بحصول محبوب في المستقبل الجرجاني وعند ابن عربي :

الطمع في الأجل (الاصطلاحات)

(2) في " ب " و " م " : ناقصة

(3) في " ب " و " م " : ناقصة

(4) الرعونة : هي الوقوف مع الطبع (ابن عربي : الاصطلاحات) ، وفي م : الدعوى

(5) في " ب " : جاء به التنزيل، وفي م : به ناقصة.

(7) العنكبوت : 5

(6) البقرة 218 : وفي م : الآية ناقصة

(9) في " ب " و " م " : ناقصة

(8) في " س " : الألسنة

(10) في " س " : دواء وفي " م " : ناقصة.

(12) في " س " : الرجاء

(11) في " س " : فالخواص

(14) " ب " و " م " : مطالعة عوض : ناقصة

(13) في " ب " : شكوا

(16) في " ب " : طاف

(15) في " س " : من سيده، ناقصة

(17) في " ب " : ناقصة

غريق، وتحت وابل الإحسان⁽¹⁾ مغمور ولم يدع له ما⁽²⁾ يشاهده⁽³⁾ من⁽⁴⁾ مولا مستزادا، ولا كشف له عما طالعه منه⁽⁵⁾ في الدارين مزيدا⁽⁶⁾.

فالرجاء⁽⁷⁾ وهن عقال وفترة وغفلة⁽⁸⁾، وفي الفتوة علة، وفي المحبة وصمة. قال الله تعالى⁽⁹⁾: ﴿أَنْفَكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾⁽¹⁰⁾ فما ترك وجوده وجوده⁽¹¹⁾ ورويته⁽¹²⁾ لهم غرضاً، ولا أبقي وجوده لهم رجاء⁽¹³⁾، ولا غادر حبه لشيء من الكونين في قلوبهم أثراً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ﴾⁽¹⁴⁾ الآية.

وسئل بعضهم: ما مراد العارف؟ فقال: دوام معرفته، أشار بذلك إلى بقاء مراده تعالى⁽¹⁵⁾، وفناء اختيار العارف⁽¹⁶⁾؛ لأن معرفته دائم أبداً، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقيل أن بعض الأعراب ضلت راحلته عنه وكانت ليلة مظلمة فأكثر الطالب لها والفحص عنها⁽¹⁷⁾، فلم يعثر عليها. فلما طلع القمر وانبسط نوره وضيائه⁽¹⁸⁾،

-
- (1) الإحسان مقام يكون العبد فيه ملاحظاً لأثار أسماء الحق وصفاته كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك.
(2) "ب" و"و" م" : ناقصة
(3) في "ب" : مشاهدة.
(4) في "ب" : ناقصة.
(5) في "ب" : ناقصة.
(6) في "ب" : مراد.
(7) في "ب" : والرجاء.
(8) في "ب" : وفترة وعلة : ناقصة وفي "م" : وفي الفترة علة.
(9) في "ب" و"و" م" : ناقصة.
(10) الصافات : 86
(11) في "ب" و"و" م" : ناقصة.
(12) في "ب" و"و" م" : ناقصة.
(13) في "ب" : ولا أبقي لهم جوده.
(14) الفرقان : 45 ، وهي في "ب" و"و" م" : ناقصة
(15) في "ب" و"و" م" : ناقصة
(16) في "ب" و"و" م" : اختياره
(17) في "ب" : عليها
(18) في "ب" و"و" م" : ناقصة

رأى ناقته باركة برجلها في بعض الأودية، فاستبشر بذلك، وكان قد اجتاز بذلك الوادي (1) عدة مرات (2) والظلام يحول دونها، فرفع رأسه إلى القمر مشيراً (3) إليه وقال شعراً (4) :

ماذا أقول وقولي ذو حصر (5) وقد كَفَتَنِي التفصيل والجَمَلَا

إن قلت لا زلت مرفوعاً فأت كذا أو قلت زأنك (6) رَبِّي فهو قد فَعَلَا

فكذلك العارفون بالله تعالى لم يبق لهم أمل يتعلقون به، ولا غرض يسترقهم فيقفون (7) معه، فإن في أقل أقل (8) ما لطفهم به أجل أجل ما تنتهي إليه آمالهم عند أحوالهم. ولهذا أخبر رسول الله (ص) عن أهل الجنة فقال لهم :

«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (9). ذخراً من

بله ما أطلعتم عليه (10). فإنذا كان ذلك لهم وهو حظ النفس من الجنة فما ظنك بما

(1) في "س" و "م" : الموضع

(2) في "س" : ناقصة وفي "م" : جوار

(3) في "ب" و "م" : مشيراً إليه، ناقصة

(4) في "س" : فقال

(5) في "ب" : فيك مختصر

(6) في "س" : زأنك

(7) في "ب" : فيقفوا

(8) في "ب" : أقلها، وفي م : أقل يلاطفهم

(9) الحديث : عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : قال الله : " أعددت لعبادي

الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " رواه البخاري

(10) في "ب" و "م" : من : ذخراً إلى زطلعتم عليه، ناقصة

لهؤلاء وهو حظ القلوب من الله تعالى ؟ وفي ذلك قال قائلهم :

قولوا لأمالي ألا فابعُدِي	قد أنجز الأحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مُستأنساً	منك بِخِلِّ مشفق مسعدي
وأن نسيم الروض من وصلكم وصلهم ⁽¹⁾	هَبْ قلبي عندك ظل ندي
وحيث لاحت لي أعلامهم	فليس بي فقر إلى مرشدي

قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾⁽²⁾.

(1) في ب : إِنَّ سُمُومَ الْيَأْسِ مِنْ وَصْلِكُمْ

(2) العنكبوت : 69

الفصل التاسع : وأما الشكر فهو من منازل العوام

فصل وأما الشكر فهو من منازل العوام وهو⁽¹⁾ : رؤية النعمة من المنعم والثناء على معطيها، والقيام بحقها والإقرار بوجودها. ويفتقر الشاكر⁽²⁾ إلى معرفة النعمة من المنعم⁽³⁾ وقبولها منه⁽⁴⁾، ورؤيته أولاً بعين القلب والبصيرة وشكر اللب له وحده عليها، إذ كانت منه إلى العبد من غير ودٍّ سابق ولا حق. ثم رؤية النعمة بعدها منه والثناء بها والاشتغال بذكرها⁽⁵⁾، وهو من أضعف منازل القوم⁽⁶⁾ لأنه حجاب عنه⁽⁷⁾ ولأنه معارضة طوله ونعمته⁽⁸⁾ بحولك وقولك⁽⁹⁾، ومقابلة نعمته بقولك قصور منك. وإنما لم يكن ذلك من منازل الخواص لأنهم رأوه قياماً بمكافئات المعطي، وهرباً من رق المنة، واستراحة من حبل⁽¹⁰⁾ الجود وأداء لحق النعمة. فقال تعالى⁽¹¹⁾ : ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾⁽¹²⁾

فالشكر عند القوم أن لا تشهد⁽¹³⁾ في حال النعمة سوى المنعم أولاً⁽¹⁴⁾، فإذا شهد عبودية، استعظم⁽¹⁵⁾ منه النعمة⁽¹⁶⁾ : إذ لاحق للعبد عليه⁽¹⁷⁾، وإذا شهد⁽¹⁸⁾ حبا استخلص منه⁽¹⁹⁾ الشدة.

- | | |
|--|--|
| (1) في " م " : وأما الشكر فرؤية المنعم | (2) في " ب " و " و " م " : الشكر |
| (3) في " ب " و " و " م " : ناقصة | (4) في " ب " و " و " م " : ناقصة |
| (5) في " ب " : وقبولها منه | (6) في " ب " و " و " م " : وهو من منازل العامة |
| (7) في " ب " و " و " م " : لأنه حجاب عنه، ناقصة | |
| (8) في " ب " و " و " م " : ناقصة وفي " م " : نعمته بقولك | |
| (9) في " ب " و " و " م " : ناقصة | (10) في " س " : حمل |
| (11) في " ب " و " و " م " : ناقصة | (12) في " س " : حمل |
| (13) في " س " : يشهدوا | (14) في " س " : حمل |
| (15) في " ب " : استعظموا | (16) في " س " : المنعم |
| (17) في " ب " و " و " م " : إذ لاحق للعبد عليه، ناقصة | |
| (18) في " ب " : فإذا شهدوا، في " س " : شاهده | (19) في " ب " : استحلوا |

شعر :

وَمَا لِحَرْحِ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ⁽¹⁾

وإذا شاهده⁽²⁾ تفريدا فانيا عما سواه⁽³⁾، لم يشهد⁽⁴⁾ منه شدة ولا نعمة، فيكون في شغله⁽⁵⁾ به واستغراقه⁽⁶⁾ فيه وغيبته⁽⁷⁾ في حال شهوده⁽⁸⁾ شغل به عن معرفة المنحة والمحنة⁽⁹⁾ والنعمة والشدة في حال فنائه كالنسوة حين شَاهَدْنَ "يوسف" عليه السلام وَبَهَرَهُنَّ حُسْنَهُ فَفَتِنَ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ، وَقَطَّعْنَ أَيْدِهِنَّ، وغاصت السكاكين بعد قطع "الأترج"⁽¹⁰⁾ حتى قطعن أيدهن. وهذا ما يطرأ من مشاهدة مخلوق لمخلوق [آخر]، فلا يعد بالقياس الجلي أن يطرأ على العارف بالله تعالى من مشاهدة فردانية الذات وصمديتها وقدمها، وصمديتها وبقائها، وحياته التي لا يعقبها موت، وعلمه الذي لا يعقبه جهل، وإرادته التي لا يعقبها عجز، وسمعه الذي لا يعقبه صمم، وبصره الذي لا يعقبه عمى، وكلامه الذي لا يعقبه خرس، وإدراكاته التي لا تنفيها أصداد. وشاهد منه جمال هذا الوجه وهذه الصفات، وشاهد جلاله عن النقائص : من الجسمية والجوهرية والعرضية وعن كل ما يطرأ إلى نقصه. وشاهد افتقار الأفعال إليه واستحالة وجودها دونه، فينشد لا محالة في حاله :

رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي فَقُلْتُ لَا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَا

(1) في "ب" : هذا البيت ناقص وفي "م" من هذا البيت إلى : مع أن الشكر : ناقصة

(2) في "ب" : شهوده

(3) في "ب" : فانيا عما سواه : ناقصة

(4) في "ب" : يشهدوا

(5) في "ب" : شغلهم

(6) في "ب" : استغراقهم

(7) في "ب" : غيبته

(8) في "ب" : شهودهم

(9) في "ب" : من المحنة إلى تمام القصيدة « رأيت ربي » ناقصة

(10) الأترج : في لسان العرب : ترج، الأترج، واحده ترنجه وأترجه، قال علقمة بن عبدة :

يحملن أترجه نضح العير بها كأن تطايبها في الأنف مشموم

والمترج هو المصبوغ بالحمرة صبغا مشبعا. ولعل الأترج هي فاكهة طيبة المذاق زكية الرائحة وهي ربما التفاح.

أَنْتَ الَّذِي حُزَّتْ كُلُّ أَيْنٍ فَحَيْثُ لَا أَيْنَ ثُمَّ أَنْتَا
وَجُزَّتْ حَدَّ الدُّنُوِّ وَالْبُعْدِ لَا يَعْلَمُ الْأَيْنَ أَيْنَ أَنْتَا
أَحْطَتَ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ شَيْءٍ تَرَاهُ أَنْتَا
وَفِي فَنَائِي فَنَاءُ فَنَائِي وَفِي فَنَائِي وَجَدْتُ أَنْتَا
فَمَنْ بِالْعَفْوِ يَا إِلَهِي فَلَيْسَ أَرْجُو سِوَاكَ أَنْتَا⁽¹⁾

وكما قيل⁽¹⁾ :

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَذْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَقَلَّأُ
لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلِرَغِي النُّجُومِ كُنْتُ مُحِلًّا
إِنَّ الْعَاشِقِينَ عَنْ قِصْرِ اللَّيْلِ وَعَنْ طُولِهِ مِنَ الْهَجْرِ شَغَلَا

مع أن الشكر لا طريق إلى القيام به⁽³⁾ و لا سبيل إلى الخروج عن عهدة واجبه، فإنه يتناهى⁽⁴⁾ ولا ينتهي ؛ إذ شكرك لله تعالى⁽⁵⁾ على النعمة نعمة⁽⁶⁾ مستجدة يجب له عنك فيها الشكر. فالشكر يفتقر إلى شكر⁽⁷⁾، فهي تقوم⁽⁸⁾ بحقه. وفيه قيل :⁽⁹⁾

وَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلِ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ⁽¹⁰⁾ الْقَائِلِ

(1) في " ب " : من المنحة إلى آخر القصيدة، ناقصة

(2) في " ب " : وفي معناه أنشدوا

(3) في " ب " : للقيام به

(4) في " س " : ناقصة

(5) في " ب " و " م " : ناقصة

(6) في " ب " و " س " : ناقصة

(7) في " ب " و " س " : السكر

(8) في " ب " : متى يقام، وفي " س " : متى تقوم

(9) في " ب " و " م " : كما قيل

(10) في " ب " و " م " : تجلب و " م " : البيت ناقص لكنه أورده في آخر الفصل

وقال آخر (1) :

إِذَا كَانَ شُكْرِي (2) نِعْمَةً اللَّهُ بِنِعْمَةٍ	عَلَيَّ لَهُ فِيهَا (3) وَجَبَ الشُّكْرُ (4)
فَكَيْفَ بُلُوغَ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ	وَإِنْ طَالَ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
فَمَالِي عُذْرٌ غَيْرَ أَنِّي مُقْصَّرٌ	وَعُذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرٌ
إِذَا عَمَّ بِالنِّعْمَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا	وَإِنْ خَصَّ بِالْبُلُوى أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
فَمَا مِنْهُ إِلَّا مَنَّةٌ فَوْقَ نِعْمَةٍ	تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالسُّرُّ وَالْجَهْرُ (5)

(1) في " ب " : وقد قيل وفي " م " : وكما قيل

(2) في " ب " : شكره، وفي " م " : ويشكو يوما نعمة الله بنعمة

(3) في " ب " و " م " : فيك

(4) في " ب " و " م " : في مثلها

(5) في " ب " : البيتين (4) و (5) ناقصين وفي " م " : الأبيات (2) و (3) و (4) و (5) : ناقصة وأورد الأبيات التالية :

وإن طالت الأيام واتسع العمر

وكيف بلوغ الشكر إلا بفضل

الفصل العاشر : وأما المحبة فهي أول أودية الفناء

فصل وأما "المحبة"⁽¹⁾ فهي أول أودية "الفناء"⁽²⁾ والعقبة التي يتحدر منها على منازل "المحو"⁽³⁾ وهو⁽⁴⁾ آخر منزل تلتقي⁽⁵⁾ فيه مقدمة العامة بساقاة الخاصة وما دونها أغراض⁽⁶⁾ لأغراض⁽⁷⁾، للعوام منها شرب وللخواص شرب. قال الله تعالى⁽⁸⁾ : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾⁽⁹⁾

(1) الحب والمحبة من أهم الأحوال التي تنزل بقلب الصوفي، فهو للأحوال كالتوبة للمقامات. وأقصى درجات الحب الإلهي عند القوم هو العشق، وأقصى ما بلغته نظرية العشق الإلهي الصوفي عرف مع مذهب وحدة الوجود. ذلك أن الصوفي المتحقق بالوحدة بمجرد أن يدرك بأن الله هو الوجود الحق، فهو يدرك أن وجود الأشياء ما هو إلا وجود الله الذي ليس شيئا آخر سوى الحب الإلهي ؛ أى أن الوجود هو العشق فقط ليس إلا. بفضل كنا وبه عرفناه وعرفنا.

فالحب هو أساس وجودنا في الأعيان وقيل بداية الوجود. كما أن هذا العشق عندما يبلغ درجة الاستغراق التام للمحب من المحبوب، ويصير مالكا لحاله حتى يصبح له مقاما حاضرا بذاته كشعله تنير حياته، فإن لذة هذا العشق تجعل الصوفي يحيا سعادة وغبطة عارمة لا حدود لها.

(2) الفناء : كما يرى التهانوي هو : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية محلها ومقامها، فيكون الحق سمعه وبصره. وعند ابن عربي الفناء هو : عدم رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك. (المصطلحات)

(3) المحو : يرى الجرجاني هو : رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عن عقله ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر. في م : الحق.

(4) في ب : وهي.

(5) في ب : يلتقي.

(6) في ب و م : أعراض.

(7) في ب : لا عرض، في م : ألا يعرض.

(8) في ب و م : قال الله تعالى، ناقصة .

(9) البقرة : 60 .

وقد اختلفت إشارات أهل "التحقيق"⁽¹⁾ منهم⁽²⁾ في العبارة عنها، وكل من القوم⁽³⁾ نطق بحسب "ذوقه"⁽⁴⁾، وأفصح عنه⁽⁵⁾. بمقدار شربه⁽⁶⁾ وذوقه. وهي على الإجمال قبل أن تنتهي إلى التفصيل⁽⁷⁾. إنها⁽⁸⁾ وجود تعظيم في القلب يمنع الشخص من الانقياد لغير محبوبه.

وقيل إثارة المحبوب على غيره، وقيل موافقته فيما ساء وسرَّ، ونفع وضرر. وفي معناه أنشدوا⁽⁹⁾ :

وَقَفَ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ
أَجْدُ الْمَدَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً أَسْقَىٰ لَهُ حَتَّىٰ كَانَ أَكْرَمُ
وَأَهْنَتِي⁽¹⁰⁾ فَأَهْنَتِ⁽¹¹⁾ نَفْسِي صَاغِرًا⁽¹²⁾ مَا مِنْ يَهُونَ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَكْرُمُ
أَحْبَبْتُ⁽¹³⁾ أَعْدَائِي فَصُرْتُ أَحْبَهُمْ إِذَا كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ⁽¹⁴⁾

(1) التحقيق : هو ظهور الحق في صورة الأسماء الإلهية أو هو الوصول إلى المعرفة بالله [الحنفي : م المصطحات] والمحقق : هو المتحقق بالحق والخلق، ويرى أن كل مطلق في الوجود له وجه إلى التقيد وكل مقيد له وجه إلى الإطلاق، بل يرى كل الوجود حقيقة واحدة له وجه مطلق ووجه مقيد، ومن شاهد هذا المشهد ذوقاً، كان متحققاً ومحققاً.

(2) في "ب" و "م" : ناقصة

(3) في "ب" و "م" : ناقصة

(4) ذوق : الذوق نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقونه به بين الحق والباطل، من غير أن يعتمدوا في ذلك على كتاب أو غيره. [الجرجاني]

(5) في "ب" : فصيح و "م" : وانفتح له

(6) شرب : هو تلقي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يرد عليها من الكرامات وتنعمها بذلك. فشبه ذلك بالشرب لتنعمه بما يرد على قلبه من أنوار مشاهدة قرب سيده. [الحنفي : الاصطلاحات] وفي م : شوقه

(7) في "س" : التفصيل

(8) في "س" و "م" : ناقصة

(9) في "ب" و "م" : كما قيل

(10) في "ب" : واهنت في "س" و "م" : ناقصة في "ب" و "م" : كما قيل

(11) في "ب" : فأهنتني

(12) في "م" : عامدا

(13) في "ب" : أشبهت

(14) في "س" : إذا كان منك حظي منهم. وفي م : البيت (4) : ناقص

وقيل : المحبة القيام بين يديه وأنت قاعد، ومفارقة المضجع وأنت راقد،
والسكوت وأنت ناطق، ومفارقة المألوفات⁽¹⁾ والوطن⁽²⁾ وأنت مستوطن.

وقال قوم : ليس للمحبة صيغة يعبر بها عن⁽³⁾ حقيقتها، فإن الغيرة من أوصاف
المحبة، والغيرة تأبى إلا الستر والإخفاء. وكل من بسط لسانه بالعبارة عنها
والكشف عن سرها فليس⁽⁴⁾ له منها ذوق، وإنما حركة وجدان الرائحة، ولو
ذاق منها شيئا لغاب عن الشرح⁽⁵⁾ والوصف. فالمحبة الصادقة لا تظهر على⁽⁶⁾
المحب بلفظه، وإنما تظهر بشمائله ولحظه، ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى⁽⁷⁾
المحبيب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب. وفي معناه قيل⁽⁸⁾ :

تَكَلَّمْ مِنَّا فِي الرَّجْوِ عَيْنُونَا فَنَحْنُ سُكُوتُ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ
تُشِيرُ فَأُدْرِي مَا تَقُولُ بِطَرَفِهَا وَأَطْرُقُ⁽⁹⁾ طَرْفِي عِنْدَ ذَاكَ فَتَفْهَمُ⁽¹⁰⁾

وأما⁽¹¹⁾ محبة العوام فإنها تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتِّباع السنة، وتنمو
على الإجابة للعناية⁽¹²⁾، وهي محبة تقطع الوسوس وتلذذ⁽¹³⁾ الخدمة، وتُسَلِّي
عن المصائب، وهي في طريق العوام عمدة الإيمان.

(1) في " س " : المؤلف

(2) في " س " : ناقصة، وفي " م " : من : والسكوت. إلى : وأنت مستوطن : ناقصة

(3) في " ب " : عنها

(4) في " س " : فلذلك له

(5) في " ب " : ناقصة

(6) في " م " : في

(7) في " م " : إلا

(8) في " ب " : وفي " م " : كما قيل

(9) في " س " : فاطرق

(10) في " س " و " م " : فتعلم، كما أن في س وم قلب لموضع البيتين : الأول موضع الثاني. وفي م :
الفقرة من : وأما محبة العوام إلى الإيمان، ناقص.

(11) في " ب " : فأما

(12) في " ب " : للعناية

(13) في " س " : وتلذ

وأما محبة الخواص فهي محبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة ولا تنتهي
بالنعوت ولا تعرف إلا "بالحيرة"⁽¹⁾ والسكوت كما قيل :

تَقُولُ⁽²⁾ وَقَدْ أَلْبَسْتُ وَجْداً وَحَيْرَةً وَقَدْ ضَمَّنَّا بَعْدَ التَّفَرُّقِ مُحَضْرُ
أَلَسْتَ الَّذِي كُنَّا نَحْبِرُ أَنَّهُ وَلَوْ بِذِكْرِ أَنَا فَلَمْ لَيْسَ نُذَكِّرُ
فَرَدَ عَلَيْهَا الْوَجْدَ أَفْنَيْتَ ذِكْرَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا زَفَرَةٌ وَتَحِيرُ

وحكي أن "عيسى" عليه السلام مر في بعض أسفار سياحته⁽³⁾ على جبل فيه
صومعة⁽⁴⁾، فدنا منها فوجد فيها عابداً⁽⁵⁾ قد انحنى⁽⁶⁾ ظهره ونحل جسمه، وبلغ به
الإجهاد⁽⁷⁾ أقصى غايته. فسلم عليه "عيسى" عليه السلام، فرد عليه⁽⁸⁾، وعجب
مما رأى من شواهد فقال له "عيسى" : منذ كم وأنت في هذه الصومعة ؟ ! .
فقال : منذ سبعين سنة أسأله حاجة واحدة فما قضاها لي بعد، فعساك يا روح الله
أن تكون شفيعي فيها⁽⁹⁾، فلعلها تقض لي. فقال عيسى عليه السلام : فما حاجتك؟
قال: سألته سبحانه أن يذيقني مقدار ذرة من خالص محبته. فقال له "عيسى" عليه
السلام⁽¹⁰⁾ : أنا أدعو الله تعالى⁽¹¹⁾ لك في ذلك، فدعا له "عيسى" عليه السلام في

(1) الحيرة الصوفية بديهة ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكيرهم. تحجبهم عن التأمل
والفكرة. قال الواسطي : حيرة البديهة أجل من سكوت التولي عن الحيرة (انظر : الحفني، معجم مصطلحات
الصوفية)

(2) في "س" : ناقصة ، وفي "م" : ليس كنا

(3) في "ب" : اجتاز، وفي "م" : اجتاز في يوم من أيامه

(4) في "ب" : ناقصة وفي "م" : فيها

(5) في "ب" و "و" : متعبدا

(6) في "ب" و "و" : انحنى

(7) في "س" و "و" : الاجتهاد

(8) في "س" و "و" : فرد عليه : ناقصة

(9) في "م" : ناقصة

(10) في "ب" و "و" : ناقصة.

(11) في "ب" : ناقصة.

تلك الليلة⁽¹⁾. فأوحى الله تعالى⁽²⁾ إليه، قد قبلت شفاعتك فيه وأجبت دعوتك⁽³⁾ فعاد "عيسى" عليه السلام بعد أيام إلى الموضع لينظر ما كان من حال العابد، فرأى الصومعة قد وقعت والأرض التي تحتها قد ظهر فيها شق عظيم، فنزل عيسى عليه السلام في ذلك الشق، وانتهى فيه فراسخ⁽⁴⁾، فرأى العابد في مغارة تحت ذلك الجبل واقفا شاخصا بصره فاتحا «فاه». فسلم عليه "عيسى" عليه السلام⁽⁵⁾، فلم يرد عليه جوابا، فعجب "عيسى" عليه السلام⁽⁶⁾ من حاله فهتف به هاتف : يا "عيسى" إنه سألنا مثقال⁽⁷⁾ ذرة من خالص محبتنا، وعلمنا أنه لا يقدر⁽⁸⁾ على ذلك، فوهبنا له⁽⁹⁾ جزء من سبعين ألف⁽¹⁰⁾ جزء من ذرة⁽¹¹⁾، وهو حائر فيها⁽¹²⁾ كما ترى⁽¹³⁾. فكيف لو وهبنا له أكثر من ذلك.

فمحنة الخواص من هذه⁽¹⁴⁾ المعادن رشت⁽¹⁵⁾، وبهذه الأوصاف عرفت. فعند القوم إن كل ما كان من العبد فهو علة تليق بعجز العبد وفاقتة⁽¹⁶⁾؛ إن غفل عن قوله تعالى : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾⁽¹⁷⁾ الآية⁽¹⁸⁾، إنما عين الحقيقة عند

-
- (1) في "س" : الحالة.
 - (2) في "م" : عز وجل
 - (3) في "ب" و "و" م : مسألتك
 - (4) في "ب" : به، وفي "م" : فراسخ ناقصة
 - (5) في "س" : عيسى عليه السلام، ناقصة، وفي "م" : عليه عيسى عليه السلام
 - (6) في "ب" و "و" م : عيسى عليه السلام، ناقصة
 - (7) في "س" : مثال
 - (8) في "ب" : يضعف، وفي م : يضعف عن حمل ذلك
 - (9) في "س" : ناقصة وفي "م" : فأعطيناه
 - (10) في "س" : من سبعين
 - (11) في "ب" : جزء من ذرة
 - (12) في "س" : ناقصة في "م" : فهو فيها حائر
 - (13) في "س" : كمي
 - (14) في "ب" : هذا
 - (15) في "س" : رشة
 - (16) في "م" : ناقصة
 - (17) النمل : 53
 - (18) في "ب" : عندهم

القوم⁽¹⁾ أن يكون قائما بإقامة الحق له، محبا بمحبته له، ناظرا بنظره له من غير أن يبقى معه⁽²⁾ بقية تناط باسم أو تقف على رسم⁽³⁾، أو تتعلق بأثر أو تنعت⁽⁴⁾ بنعت أو توصف بوصف⁽⁵⁾، أو تنسب إلى وقت كما قال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا﴾⁽⁶⁾. يريد قياما بحق "الحق"⁽⁷⁾ وبإقامته لهم، وقعودا عن الدعوى فيه: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾⁽⁸⁾، ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾⁽⁹⁾، ﴿وإن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾⁽¹⁰⁾ صم بكم بغير الحق لا يسمعون وبغير ذكره لا ينطقون⁽¹¹⁾.

(1) في "ب" : عندهم

(2) في "ب" : منه، وفي "م" : له منه

(3) في "س" و "و" : تقف على رسم أو تناط باسم

(4) في "س" : توصف،

(5) في "س" و "و" : توصف بوصف، ناقصة

(6) آل عمران : 191

(7) الحق هو الله، والحق كذلك هو كل ما فرض على العبد من جانب الله وكل ما أوجبه الله على نفسه

[اصطلاحات ابن عربي]

(8) الأنفال : 17

(9) الإنسان : 30

(10) يس : 53

(11) في "ب" و "و" : الفقرة من إلى وقت لا ينطقون، ناقصة، وكتب محلها : صم بكم عمي لدينا محضرون.

الفصل الحادي عشر : وأما الشوق فهو من منازل العوام

فصل وأما الشوق⁽¹⁾ فهو من منازل العوام⁽²⁾ ؛ إذ "الشوق"⁽³⁾ هو هبوب القلب إلى تمنى⁽⁴⁾ غائب يحضر⁽⁵⁾، وإعواز⁽⁶⁾ الصبر عن فقده، وارتياح السر إلى طلبه، وهو من أضعف منازل القوم⁽⁷⁾.

وأما الخواص فهو عندهم علة عظيمة ؛ لأن الشوق إنما يكون إلى غائب. ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة : ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾⁽⁸⁾ الآية⁽⁹⁾ فالطريق عندهم⁽¹⁰⁾ أن يكون العبد غائبا والحق حاضرا. ولأجل⁽¹¹⁾ هذا المعنى لم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة، لأن الشوق مخبر عن بعد

(1) الشوق هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب، وهو في قلب المحب كالفتيلة في المصباح. والعشق كالذهن في النار. وقيل من اشتاق إلى الله أنس إلى الله، ومن أنس طرب، ومن طرب وصل، ومن وصل اتصل، ومن اتصل طوبى له وحسن مآب. والفرق بين الشوق والاشتياق، أن الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق لا يزول باللقاء بل يزيد ويتضاعف.

(2) في "ب" : فهو من منازل العوام، ناقصة

(3) في "ب" و "و" م : إذ الشوق، ناقصة

(4) في "ب" و "و" م : ناقصة

(5) في "ب" و "و" م : غائبة

(6) في "ب" : وأعوان

(7) في "ب" و "و" م : مقامات العوام

(8) القصص : 24

(9) في "ب" و "و" م : الآية ناقصة

(10) في "ب" و "و" م : والطريق

(11) في "س" : ولهذا

ومشير إلى غائب، وتطلع إلى مدرك⁽¹⁾. وقد قال تعالى⁽²⁾ : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾⁽³⁾ الآية. وفي هذا قيل :

وَلَا مَعْنَى لَشَكْوَى الشَّوْقِ يَوْمًا إِلَى مَنْ لَا يَزُولُ عَنِ الْعِيَانِ⁽⁴⁾
أَوَدُّعُكُمْ وَأَوْدَعُكُمْ جَنَانِي وَأَسْبَلُ عِبْرَةَ مِثْلِ الْجُمَانِ
وَلَوْ شَاءَ إِلَهَهُ لَمَا افْتَرَقْنَا وَلَكِنْ لاختار مع الزَّمَانِ

وحكي أن "الشبلي" رحمة الله عليه⁽⁵⁾، أنه⁽⁶⁾ رأى في بعض الأيام مجنونا يعدو والصبيان خلفه يرمونه⁽⁷⁾ بالحجارة. وقد أدموا وجهه وشجوا⁽⁸⁾ رأسه، فقام له "الشبلي" في زجرهم⁽⁹⁾ عنه، فقالوا : يا شيخ دعنا نقتله فإنه⁽¹⁰⁾ كافر. قال⁽¹¹⁾ : وما الذي بان لكم من كفره ؟ فقالوا : إنه يزعم أنه يرى ربه ويحادثه. فقال : أمسكوا عنه⁽¹²⁾ قليلا حتى أسأله. ثم تقدم "الشبلي" إليه فوجده يتحدث ويضحك⁽¹³⁾ ويقول في أثناء ذلك : هذا جميل منك، تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون بي هكذا. فتقدم إليه وقال له : يا أخي أصحيح ما يقول هؤلاء الصبيان عنك. قال يا شلبي⁽¹⁴⁾ وما يقولون ؟ قال : يقولون أنك ترى ربك وتحادثه. فصاح

(1) في "ب" و "م" : إدراك .

(2) في "ب" و "م" : ناقصة .

(3) الحديد : 4

(4) في "ب" : وقد قال قائلهم، في "م" : قال الشاعر

(6) في "ب" : ناقصة

(5) في "ب" و "م" : البيتان (2)

(8) في "س" : فتحو

(7) في "س" : بالأحجار

(9) في "س" و "م" : فأخذ الشبلي يزجرهم

(10) في "س" : لأنه

(11) في "ب" و "م" : فقال

(12) في "س" : علي

(13) في "ب" : ثم في "ب" ناقصة

(14) عن أخباره انظر الرسالة القشيرية. ومن شعره كما قال أبو العباس البغدادي :

وكم من موضع لومت فيه لكنت به نكالا في العشرة

صيحة عظيمة ثم قال : يا شبلي وحق من تيمني بحبه وهيمني به⁽¹⁾ بين بعده وقربه، لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى وأنشأ يقول⁽²⁾ :

وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغِيبُ	خَيَالُكَ فِي عَيْنِي ⁽³⁾ وَذِكْرُكَ فِي فَمِي
لَكَ الْيَوْمُ مِنْ قَلْبِي عَلَى رَقِيبُ	عَلَيْكَ رَقِيبٌ مِنْ جُفُونِي كَمَا غَدَا
وَلَا لِلْعُيُونِ الْمَغِيرَاتِ ذُنُوبُ ⁽⁴⁾	خَلِيلِي مَا لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ

(1) في "ب" و "م" : ناقصة

(2) في "ب" و "م" : ثم ولى وهو يقول

(3) في "ب" و "م" : وهمي

(4) في "س" : البيت (2) الثاني، ناقص، وفي "م" : البيتين (2) و (3) ناقصان

الفصل الثاني عشر : فهذه جميعها علل أنف الخواص منها :

فصل (1) هذه (2) جميعا (3) علل أنف الخواص منها، وأسباب انفصلوا عنها، فلم يبق لهم مع الحق إرادة ولا في عطائه شوق إلى استزادة (4). فهو منتهى مرادهم وغاية رغبتهم (5)، فيعتقدون أن ما دونه قاطع. قال الله تعالى : ﴿ قل الله ﴾ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴿ (7)، ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله ﴾ (8). فزهدهم (9) جمع " الهمة " (10) عن متفرقات الكون، لأن الحق عافاهم بنور "الكشف" (11) من

-
- (1) في " ب " : ناقصة.
 (2) في " ب " : فهذه.
 (3) في " ب " : كلها.
 (4) في " س " : استزاده.
 (5) في " م " : بغيتهم
 (6) في " ب " : قل الله : ناقصة
 (7) الأعراف : 91
 (8) الأنعام : 19 ، وفي " س " : الآية ناقصة : وفي " م " تسبيح الآية الأولى عن الثانية (الأنعام 19 عن الأعراف : 91)
 (9) في " ب " : وإنما زهدهم
 (10) الهمة : يطلق بازاء تجريد القلب بالمنى، ويطلق بازاء أول صدق المريد، ويطلق بازاء جمع الهم لصفاء الإلهام، (ابن عربي الاصطلاحات) والهمة قوة فاعلة أو طاقة فاعلة في الإنسان لها فيه مصدران : الأول : هو أصل الجبلية، والثاني : التربية والاكتمال.
 وقبل ابن عربي لم ينبه أحد عن مصدري الهمة حيث يقول : « واعلم أن وجود هذه الهمة في العبد على نوعين ولها مرتبتان : همة تكون في أهل خلقة العبد وجبلته. وهمة تحصل له بعدان لم تكن... فإذا علمها من نفسه، صرفها فيما أراد من الموجودات، كمنطق عيسى عليه السلام في المهدي، بأمر الله وهمة مريم... إنها عندنا كلها أسباب يفعل الحق سبحانه وتعالى الأشياء عندها لا بها... » مواقع النجوم ص 84 مصر 1325 هـ
 (11) انكشف : حسب الجرجاني : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا. والفرق بين الكشف والمشاهدة كما يرى ابن عربي : « فالمشاهدة طريق إلى العلم، والكشف غاية ذلك الطريق، وهو حصول العلم في النفس، وكذلك إذا خاطبك فقد أسمعك خطابه وهو شهود سمعي. فإن المشاهدة للقوى الحسية لا غير، والكشف للقوى المعنوية... » (الفتوحات المكية ج 2 ص 497).

التعلق "بالأحوال" (1). قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار﴾ (2).

وتوكلهم رضاهم بتدبير الخلق وتخلصهم من تدبيرهم، وفراغ (3) همهم من إحالتها في إصلاح شأنهم (4) لوقوفهم على فراغ المدبر منها وممرها (5) على علمه (6) بمصالحهم فيما قال الله تعالى فنفسهم مطمئنة بذلك (7) : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً...﴾ (8).

وصبرهم صونهم قلوبهم عن خواطر السوء، لأنه ليس لله تعالى قضاء عاريا عن الرأفة، خارجا عن الرحمة (9) قال الله تعالى (10) : ﴿وَلِيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ (11).

وحزنهم بأسهم عن أنفسهم الأمانة بالسوء. قال الله تعالى (12) : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (13) وخوفهم هيبة الجلال لا خوف العذاب، لأن خوف العذاب مناضلة

(1) الأحوال : جمع حال : هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط... من غير تصنع، ويسمى الحال أيضا بالوارد، ولهذا يقال أن الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه. ومن شرط الحال كما يرى ابن عربي. أن يزول ويعقبه الميل، وأن يصفو، وقد لا يعقبه الميل. ومن هنا نشأ الخلاف، فمن أعقبه الميل قال يداومه، ومن لم يعقبه الميل قال بعدم دوامه.

(2) ص : 46 ، وقال الله تعالى في م : ناقصة

(3) في " س " :

(4) في " ب " و " م " : شؤونهم

(5) في " ب " : مرها

(6) في " ب " : بها

(7) في " ب " و " س " : ناقصة

(8) الفجر : 28 وفي " ب " و " س " : { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ } ناقصة

(9) في " ب " و " م " : الخيرة

(10) في " ب " و " م " : قال الله تعالى ناقصة

(11) الأنفال : 17

(12) في " ب " و " م " : قال الله تعالى ناقصة

(13) العاديات : 6

عن النفس⁽¹⁾ وهيبته سبحانه⁽²⁾ تعظيم للحق، ونسيان للنفس. قال الله تعالى :
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾⁽³⁾ وقال الله تعالى في حق العوام : ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾⁽⁴⁾

ورجاؤهم ظمأهم إلى الشراب الذي هم فيه غرقى وبه سكرى. قال الله
تعالى⁽⁵⁾ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَيْكِ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾⁽⁶⁾. وقال في ذكر الوساطة قبل ذكره
له على الافراد : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾⁽⁷⁾
وشكرهم سرورهم بوجودهم⁽⁸⁾ ورؤيتهم النعمة لموحدتهم، ومن رضي فله
الرضى :

وَعَيْنُ الرِّضَى عَنْ كُلِّ غَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيءَ.

رضي الله عنهم ورضوا عنه. قال الله تعالى : ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ﴾⁽⁹⁾ الآية

ومحبتهم فناؤهم في محبة الحق⁽¹⁰⁾ وأحبابه⁽¹¹⁾، فإن المحاب كلها طلب في
محبة الحق، وتضاغرت واضمحلت. قال الله تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا
الضَّلَالُ﴾⁽¹²⁾. وشوقهم هربهم من رسمهم وسماتهم⁽¹³⁾. قال الله تعالى⁽¹⁴⁾ :
﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى﴾⁽¹⁵⁾ الآية.

(1) في " ب " و " ب " و " م " : وهيبة الجلال

(1) في " ب " : وظل بها

(4) النور : 37

(3) النحل : 50

(6) الفرقان : 45

(5) في " ب " و " م " : ناقصة

(7) طه : 17، وفي " م " : من : قال في ذكر الوساطة ، إلى : الآية : ناقصة

(8) في " ب " : بموجوديتهم، وفي " م " : بموجودهم

(9) التوبة : 111 وفي " م " : من : رؤيتهم النعمة... إلى تعالى : ناقصة

(10) في " ب " : لهم

(11) في " م " : واحتسابه. ومن : فإن المحاب إلى قال تعالى : ناقصة

(13) في " ب " : ناقصة

(12) يونس : 32

(14) في " ب " و " م " : استعجالا للوصول إلى غاية المنى، وفي " م " : قال تعالى ناقصة

(15) طه : 84

الفصل الثالث عشر : فالإرادة والتوبة والزهد والتوكل والصبر

والحزن والخوف، والرجاء والشكر والمحبة والشوق والأنس، منازل

أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة

فصل الإرادة والتوبة⁽¹⁾ والزهد والتوكل والصبر والحزن والخوف، والرجاء والشكر والمحبة والشوق والأنس⁽²⁾، منازل⁽³⁾ أهل الشرع السائرين إلى "عين الحقيقة"⁽⁴⁾. فإن شهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال السائرين⁽⁵⁾. ووصلوا فيها إلى مقام الفناء عما سواه سبحانه، فإن ما قبل هذه "المقامات"⁽⁶⁾ فَمَرَادَةٌ إلى هذه الغاية، وهو النظر إلى الله عز وجل : ﴿ يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾⁽⁷⁾. قال الضحاك⁽⁸⁾ : ارجعي إلى جسدك فادخلي في

(1) في "ب" : ناقصة (2) في "ب" : ناقصة (3) في "ب" : من منازل

(4) عين الحقيقة : عند ابن العريف تشير إلى بلوغ السائرين إلى حقيقة الحقائق الله والفناء فيه والنظر إلى وجهه عز وجل. وعين الحقيقة في مذهب ابن عربي هي الماهية، وذات، والحقائق لا تتقلب ولا تتبدل ولا تتفاضل فيما بينها وهي أصل ومبدأ التمييز.

والحقيقة في ذاتها إذن كما يرى الشيخ الأكبر هو الوجود في وحدته، والوصول إلى الحقيقة هو شهود لتلك الوحدة الوجودية. إذن الحقيقة هي الوصول إلى وحدة الوجود : « إن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف والتماثل والتقابل... فعين الشريعة عين الحقيقة... فالحقيقة إن أعطت أحدية الألوهية فإنها أعطت النسب فيها، فما أثبتت إلا أحدية الكثرة... فالحقيقة التي هي أحدية الكثرة لا يعثر عليها كل أحد... فالحقيقة صفة حق خلف حجاب صفة عبد... » (الفتوحات المكية ج 2 ص 563)

(5) في "ب" و "م" : الفقرة من السائرين إلى ما لم يزل، ناقصة

(6) المقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغيرها. والمقام معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من المجاهدات... وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام ما لم يستوف أحكام ذلك المقام.

(7) الفجر : 28

(8) الضحاك : هو ابن مزاحم، الطبقة الخامسة من صغار التابعين، مفسر، (ت 100 هـ)

عبادي وادخلي جنتي، وقد كانت قبل هذا في بدايتها أماراة بالسوء، ثم ﴿قد أفلح من زكاهها﴾ الآية (1) ثم صارت لوامة : ﴿فلا أقسم بالنفس اللوامة﴾ (2).
 والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ثم صارت مطمئنة بذكر الله : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (3)، ﴿ادخلوها بسلام﴾ (4) آمنين ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم من الأيام الخالية﴾ (5). ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ (6). ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ (7). ألم تر كيف فنى منهم ما لم يكن لدخول الجنان أهلاً، وبقي ما لم يزل. وكما قلت في ذلك (8) :

وَيَزَعُمُ أَنَّ الْهَوَى قَدْ عَلِقَ	أَلَا قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي حُبَّنا
لكن على الغُصْنِ بَعْضُ الْوَرَقِ	وَلَوْ كَانَ فِيمَا ادَّعَى صِدْقاً
وأين الغرامُ وأين القلقُ	فأين النحولُ وأين الذُّبُولُ
وأين الشَّهَادُ وأين الأرقُ	وأين الخضوعُ وأين الدُّمُوعُ
إِذَا لَمَعَتْ نَارُنَا فِي الْغَسَقِ	لنا الخائضون بِحَارَ الْهَلَاكِ
وَقَدْ حَدَّقُوا نَحْوَهَا بِالْحَدَقِ	فَهُمْ شَاخِضُونَ إِلَى ضَوْئِهَا
فَهُمْ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهَا فَرَقُ	وَبَاتُوا عَلَى قَدَرِ أَحْوَالِهِمْ
يَسِيرُونَ فِي وَاضِحَاتِ الطُّرُقِ	فَقُومَ عَلَى الْبَعْدِ فِي ضَوْئِهِمْ
عُسُوفاً ⁽⁹⁾ إِلَيْهَا بِقَطْعِ الْعَلَقِ	وَقُومَ أَتَوْا يَخْبِطُونَ الْوَهَادِ
من الْوَجْدِ أَبْدَى ⁽¹⁰⁾ كَمِينَ الْحَرَقِ	إِلَى أَنْ تَبْدَى لَهُمْ لَائِحُ

(1) الشمس : 9

(2) القيامة : 2 الآية : { ولا أقسم بالنفس اللوامة }

(3) الرعد : 28

(4) ق : 34

(5) الحاقة : 34

(6) يونس : 10

(7) يس : 58

(8) في " ب " : وفي ذلك قلت شعرا، في " م " : كما قلت

(9) في " س " : عسقا، وفي " م " : الزهادة

(10) في " ب " : أبدا

فَغَابُوا عَنِ الْوُجْدِ⁽¹⁾ عَيْنَ الْوُجُودِ
وَحَتَّى وَإِنْ كُنْتَ⁽³⁾ ذَا فِطْنَةٍ
فَمَا بَرَحُوا خَائِضِينَ لُجْهَهَا
إِلَى أَنْ تَرْنَمَ حَادِيهِمْ
تَوَلَّعَ بِالْعَشْقِ حَتَّى عَشِقَ
رَأَى لُجَّةَ ظَنِّهَا مَوْجَةً
فَحَطُّوا جِبَالَ مَرَاسِيهِمْ
وَفِي مَعْنَاهُ قِيلَ :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ
كَبَانَ بَنَى بُيَانَهُ فَأَتَمَّهُ
وَفِيهِ عَرْضٌ لِي :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكُ عَيْنِكَ إِنَّمَا
وَأَيَّقَنَ أَنَا لِأَحِقَانٍ بِقَصِيرَا
تَحَاوَلَ مَلِكًا أَوْ تَمُوتَ⁽⁸⁾ فَتَعْذِرُ

(1) الوجد : التواجد والوجود : التواجد بداية وهو يوجب استيعاب العبد، والوجد واسطة وهو يوجب استغراق العبد، والوجود نهاية وهو يوجب استهلاك العبد، كمن شهد البحر ثم ركب البحر، ثم غرق في البحر [ابن عربي الاصطلاحات].

(2) في " ب " : إلى هذه سبق

(3) في " س " : فإن

(4) في " س " : ممارسة الجد أو تخترق

(5) في " ب " : حولهم

(6) في " س " و " م " : وغطوا

(7) في " ب " و " م " : اضطراب وعدم ترتيب في أبيات الشعر كما تحقق. وقد ألحق بالمخطوط " م " بأدعيات وبمقطعات شعرية وهي ليست من المحاسن، ولربما أنها من إضافة الناسخ، فهي تختلف موضوعاً ومنهجاً وأسلوباً وروحاً عن الكتاب الأصلي.

(8) في " س " : تمون

فهذا حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم، أيستكثر مع ذلك أن يصلي لله تعالى⁽¹⁾ ركعتين أو يتصدق درهمين أو يسهر ليلتين، كلا بل لو كان له ألف نفس وألف روح وألف عمر مثل عمر الدنيا وأكثر، فيبدل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا، ولئن طفر ذلك بعده بما طلب كان ذلك غنى⁽²⁾ عظيما وفضلا من الله تعالى كبيرا، فتنبه أيها المسكين من رقدة الغافلين. ثم أني تأملت ما يعطيه الله سبحانه وتعالى للعبد، إذا أعطاه ولزم خدمته وسلك هذه الطريقة عُمره. فوجدتها على الجملة أربعين "كرامة"⁽³⁾، عشرون منها في الدنيا وعشرون في العقبى.

أما التي في الدنيا :

الأولى : أن يذكره الله سبحانه وينثني عليه، وأكرم بعبد يكون رب العالمين في ذكره وثناؤه.

والثانية : أن يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك، لشرفت به. فكيف بإله الأولين والآخرين ؟!

والثالثة : أن يحبه الله تعالى، ولو أحبك رئيس مَحَلَّةٍ أو أمير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به في موطن عزيزة، فكيف بمحبة رب العالمين ؟!

والرابعة : أن يكون له وكيلا يدبر أموره.

والخامسة : أن يكون لِرزقه كفيلا يوجهه إليه من حال إلى حال من غير تَعَبٍ أو وبال.

(1) في " س " : الله

(2) في " س " : غنا

(3) الكرامة : خاصية للأولياء، والمعجزة للأنبياء. وظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه، أنه أمر موهوم في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول [مصطلحات، حفني] وكما يرى النقاد أن الكرامة نشأت عند العامة بعيدا عن النقد الصوفي فهي في أغلب الأحيان من المرويات التي تتناقلها مجالس المريدين.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن " الولي " أو " الصالح " يكتم الكرامة، وبالتالي تتناقل وتتسرب بعيدا عنه محملة بالكثير من الأساطير والخرافات مما جعل هذه الطائفة مجالا للنقد.

والسادسة : أن يكون له نصيرا يكفيه لكل قاصد سوء.

والسابعة : أن يكون له أنيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والزوال والاستبدال.

والثامنة : غنى النفس، فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها، بل لا يرضى أن يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها.

والتاسعة : رفع الهمة فيرتفع عن التلطح بقادورات الدنيا وأهلها، ولا يلتفت إلى زخرفها وملاهيها ترفع الرجال الألباء عن ملاعبة الصبيان والنسوان.

والعاشرة : غنى القلب، فيكون أغنى من كل غنى في الدنيا، لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يفزعُهُ جَدْبٌ ولا يهيمه عدم.

الحادية عشرة : نور القلب، فيهتدي بنور قلبه إلى علوم وأسرار وحكم لا يهتدي إلى بعضها غيره إلا بجهد جهيد وعمر مديد.

الثانية عشرة : شرح الصدر، فلا يضيق درعا بشيء من محن الدنيا ومصائبها، وظنون الناس ومكائدهم.

الثالثة عشرة : المهابة والموقع في النفوس تحترمه الأخيار والأسرار، ويهابه كل فرعون وجبار.

الرابعة عشرة : المحبة في القلوب، سيجعل لهم الرحمن ودا، فترى القلوب كلها مجبولة على حبه، والنفوس كلها مجبولة على تعظيمه وإكرامه.

الخامسة عشرة : البركة العامة في كل شيء، من كلام أو نفس أو فعل أو ثوب أو مكان، حتى يتبرك بتراب وَطْنُهُ وبمكان يعيش فيه، وبإنسان صحبه أو رآه حيناً. قال البغداديون : تراب قبر " معروف الكرجي" ⁽¹⁾ ترياق مجرب، يفرج الله تعالى به من كل علة.

(1) معروف الكرخي : كانا أبواه نصرانيين، أسلم على يدي " ابن موسى الرضا" صاحب داود الطائي وتلمذ عليه " السري السقطي". مات نحو 200 هـ. من أقواله : إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وأغلق عليه باب الجدل.

السادسة عشرة : يتخير الأرض من البر والبحر، إن شاء سار في الهواء أو مشى على الماء أو قطع وجه الأرض بأقل من ساعة.

السابعة عشرة : تسخير الحيوان والوحوش والبهائم وغيرها، فتحبه الوحوش وتبصبص له الأسود.

الثامنة عشرة : ملك مفاتيح الأرض، فحيث ما يضرب يده فله كنز إن أراد، ما تضرب رجله فله عين ماء إن احتاج. وأين ما نزل فله مائدة تحضر إن قصد الأكل.

التاسعة عشرة : القيادة والوجاهة على باب رب العزة، فيبتغي الخلق الوسيلة إلى الله تعالى بخدمته، ويستنتج الحاجة من الله تعالى بوجاهته وبركته.

العشرون : إجابة الدعوة من الله تعالى، فلا يسأل شيئا إلا أعطاه الله إياه ولا يشفع لأحد إلا شفع، ولو أقسم على الله لأبره. (...) ⁽¹⁾ [و] أن منهم من لو أشار إلى جبل لزال، فلا يحتاج إلى اللفظ باللسان ولو خطر بباله شيء لخطر، ولا يحتاج إلى إشارة باليد.

فهذه كرامات في الدنيا، وأما التي في الآخرة والعقبى.

الواحد والعشرون : أن يُهَوَّنَ الله عليه سكرات الموت، وهي التي وجلت منها قلوب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، حتى سألوا الله أن يهونها عليهم. حتى أن منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال للضمان. قال الله تعالى : ﴿الذين توفاهم الملائكة طيبين﴾ ⁽²⁾.

الثانية والعشرون : التثبت على المعرفة والإيمان، وهو الذي منه الخوف والفرع وعليه كل البكاء والجزع. قال الله تعالى جل ذكره : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ ⁽³⁾.

(1) في "س" فراغ.

(2) النحل : 32.

(3) إبراهيم : 27.

الثالثة والعشرون : إرسال روحه بالروح والريحان والبشر والأمان، لقوله سبحانه: ﴿ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾⁽¹⁾ فلا يخاف هما يقدم عليه في العقبي، ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا.

الرابعة والعشرون : الخلود في الجنان.

الخامسة والعشرون : التحيات والبشر من ملائكة السماوات لروحه بالإكرام والإلطف والانعام، ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلاة عليه، والمبادرة إلى تجهيزه ودفنه، ويرجون بذلك أكبر ثواب⁽²⁾ ويعدونه أعظم غنيمة.

السادسة والعشرون : الأمان من فتنة سؤال القبر، وتلقين الصواب، فيأمن الهول. السابعة والعشرون : توسيع القبر وتنويره فيكون في روضة من رياض الجنة إلى يوم القيامة.

الثامنة والعشرون : (ناقصة في المخطوط).

التاسعة والعشرون : إيناس روحه (...)⁽³⁾ وإكرامها، فتجعل في أجواف طير خضر، فلا يزال تعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده (...)⁽⁴⁾ ، فرحين مستبشرين بما أتاهاهم الله من فضله.

الثلاثون : الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج وبراق وبياض وجه ونوره. قال الله تعالى : ﴿ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾⁽⁵⁾ .

الحادية والثلاثون : الأمن من الأهوال يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ أَمْ مِنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾⁽⁶⁾ .

(2) في " س " : ثواب

(4) في " س " : فراغ

(6) فصلت : 40

(1) فصلت : 30.

(3) في " س " : فراغ

(5) عبس : 38

الثانية والثلاثون : إيتاء الكتاب باليمين، ومنهم من كُفي رأساً.

الثالثة والثلاثون : تيسير الحساب، ومنهم من لا يحاسب أصلاً.

الرابعة والثلاثون : ثقل الميزان، ومنهم من لا يوقف للوزن أصلاً، ويقال ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم، لا يسمعون حسيستها، وهم فيها فيما اشتهدت أنفسهم خالدون.

الخامسة والثلاثون : ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم يشرب شربة لا يضمها بعدها أبداً.

السادسة والثلاثون : جواز الصراط والنجاة من النار، حتى أن منهم من لا يسمع حسيستها وتخدم له النار.

السابعة والثلاثون : الشفاعة في عرصات القيامة نحووا من شفاعة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم.

الثامنة والثلاثون : ملك الأبد في الجنة.

التاسعة والثلاثون : الرضوان الأكبر.

الأربعون : لقاء رب العالمين، إله الأولين والآخرين بلا كيف جل جلاله.⁽¹⁾

(1) في هذا اللقاء الذي تتم فيه الرؤية السعيدة، نظرة متأثرة بنظرية الأشاعرة في الرؤية، والذي هو موقف وسط ومعتدل بين أصحاب النقل وأصحاب العقل، بين أصحاب التصديق الساذج الذي يسقط في التشبيه، وأصحاب العقل والمنطق من معتزلة وفلاسفة فيما يتعلق بالمسائل العقائدية وخاصة مسألة الرؤيا. فأصحاب العقل يتبنون رؤية الله سواء في الدنيا أو الآخرة. كما يرى القمر في الليلة الليلية (حديث شريف) أما أصحاب العقل فينكرون هذه الرؤية وينفونها في الدنيا والآخرة، مستدلين بعدد من الآيات مثل قوله تعالى : { لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير } . { الأنعام : 103 } . وبعدد من الأدلة العقلية : منها أن العين لا ترى إلا الألوان والأشكال المتحيزة في مكان والله منزّه عن كل ذلك.

ومن تمة يرى الأشعري أن الله سيرى بنوع من الإدراك " بلا كيف " يفوق علمنا في الدنيا.

ثم أقول : وإنما عددت لك حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه. ومع ذلك فلقد أجملت وأوجزت وذكرت من الأصول والجمل، ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب. ألا ترى أنني جعلت خلعة ملك الأبد خلعة واحدة، ولو فصلتها إلى أربعين خلعة من نوع الحور العين والقصور واللباس وغير ذلك، ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها إلا عالم الغيب والشهادة، الذي هو خالقها ومالكها. وأي مطمع لنا في ذلك وربنا سبحانه يقول : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾⁽¹⁾. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »⁽²⁾.

وأن المفسر يقول في قوله تعالى : ﴿ لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾⁽³⁾ أن هذه الكلمات التي يقول سبحانه لأهل الجنة في الجنة باللطف والإكرام، ومن تكون حالته هذه فأني يبلغ جزء من ألف جزء منه، ونحن بشر أحيط به علم مخلوق. كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول، وحق أن يكون ذلك كذلك، وهو عطاء القدير العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم. ألا لمثل هذا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم، وليعلموا أن ذلك كله لأقل قليل في جنب ما هم إليه محتاجون وإياه يطلبون، وله يتعرضون. وليتعلموا أن العبد لا بد له في الجملة من أربعة :

(1) العلم بذات الله أولاً وهو الأحد الصمد.

(2) وبصفاته التي هي حياته وعلمه وإرادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه الذي ليس بحرف ولا صوت وإدراكاته.

(1) السجدة : 17.

(2) الحديث : رواه أبو نعيم من طريق يعقوب بن حميد، عن أبي عجلان عن أبيه عن أبي هريرة. وأخرجه كذلك الترميذي وصححه ابن حبان (انظر كتاب الأحاديث الصحيحة، للألباني).

(3) الكهف : 109.

(3) ونفي النقائص عنه والآفات لكونه سالما.

(4) وثبوت أسمائه الحسنی⁽¹⁾.

ثم العمل المتقن من علم الذي هو فرض عينه والإخلاص والخوف. ويعلم أولا الطريق باعتقاد وجوب النظر، وإلا فهو أعمى ثم يعمل بالعلم وإلا فهو محجوب، ثم يخلص العمل وإلا فهو مغبون.

ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات إلى أن يحذر الأمان، وإلا فهو مغرور. ولقد صدق "ذو النون"⁽²⁾ رحمه الله حيث قال : الخلق كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم موتى إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون كلهم على خطر عظيم. قلت : والعجب ثم العجب من أربعة :

إحدهما : من عاقل غير عالم، إما يهتم بمعرفة ما بين يديه، أما يتعرف ما هو مطلع عليه عند الموت بالنظر في هذه الدلائل والعبر، والاستماع إلى هذه الآيات والنذر، والانزعاج لهذه الخواطر والهواجس وحبس النفس. قال الله تعالى : ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾⁽³⁾ وقال تعالى : ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾⁽⁴⁾.

(1) هذه الأربعة المطلوبة عند ابن العريف من أجل إذكاء الهمم حتى يتحقق لأصحابها الفوز في الدنيا والآخرة والابتعاد مواطن الزلل ومطبات الابتعاد عن الله. ومن بين ذلك وأهمها التوحيد والتنزيه المطلق لذات الله. وفي ذلك فهو يتبع طريق أهل السنة الأشاعرة في التنزيه. مثلا فهو ينفي كل ما من شأنه أن يعطل التنزيه للذات الأزلية، فالله واحد وموجود أزلي صانع لكل شيء لا شريك له، ولو كان الشريك لامتنع النظام والتدبير، وفسدت السماوات والأرض.

وكذلك اثبات أسمائه وصفاته جل جلاله كما تقرر عند الأشعري والغزالي بعده، فهو الواحد القديم لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا ﴿ليس كمثله شيء﴾ وأن له الصفات العلى من علم وقدره وحياة وإرادة.... وأنها قديمة أزلية قدم الذات ولا مجال هناك لنفيها، كما ذهب إلى ذلك المعتزلة.

(2) ذو النون : هو أبو الفيض ذو النون المصري، نوبي من أخميم بصعيد مصر توفي سنة 245 هـ كان فائق الشأن وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعضه فبكى المتوكل. ورده إلى بلده مكرما. من أقوال : مدار الكلام على أربع : حب الجليل، وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل. انظر الرسالة عن أخباره و أقواله.

(3) الأعراف : 185، وفي "س" أولم يتفكروا...

(4) المطففين : 40

والثاني : من عالم غير عامل، أما يتذكر ما يعلم ما يلقي بين يديه من الأهوال العظام والعقبات الصعاب. وهذا هو النبأ العظيم الذي أنتم عنه معرضون.

والثالث : من عامل غير مخلص، ألا يتأمل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾⁽¹⁾.

والرابع : من مخلص غير خائف، أما ينظر في معاملاته جل جلاله مع أصفياه وأوليائه بينه وبين خلقه، حتى يقول لأكرم الخلق صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾⁽²⁾. الآيات ونحوها، حتى كان عليه الصلاة والسلام يقول : « شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ وَأَخْوَاتُهَا »⁽³⁾. يريد قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾⁽⁴⁾.

ثم جملة الأمر وتفصيله ما قاله رب العالمين في أربع آيات من الكتاب العزيز :
1 - قوله عز وجل : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَإِنكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾⁽⁵⁾.

2 - ثم قال جل اسمه : ﴿ وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسًا مَقْدُمَتْ لَغْدٍ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾⁽⁶⁾.

3 - ثم قال جل من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سَبِيلَنَا ﴾⁽⁷⁾.

4 - ثم أكمل الكل فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾⁽⁸⁾.

(1) الكهف : 110.

(2) الزمر : 65.

(3) الحديث : أورده ابن مردويه في تفسيره من رواية محمد بن سيرين عن عمران بن حصين، وعند الترمذي في التفسير، باب : ومن سورة الواقعة من حديث ابن عباس.

(4) هود : 112.

(5) المؤمنون : 115.

(6) الحشر : 18.

(7) العنكبوت : 69.

(8) العنكبوت : 6.

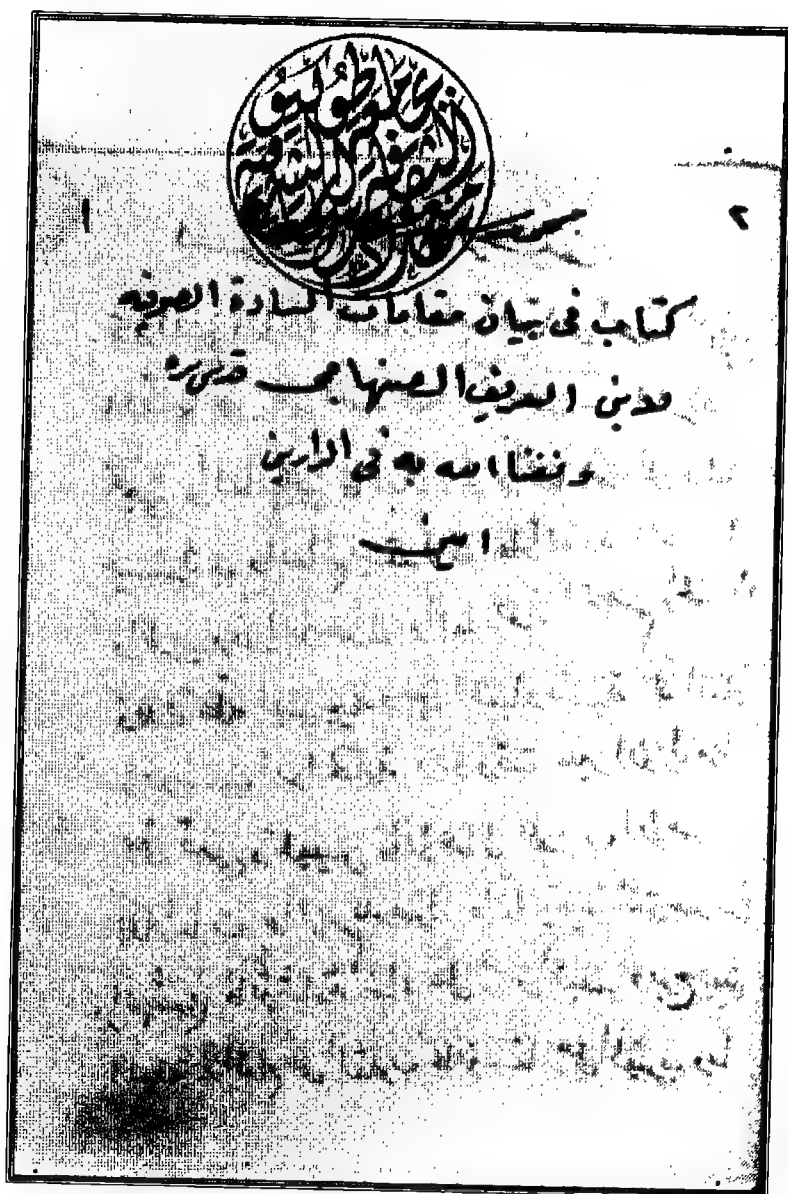
ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلَّ به القدم أو جرى به القلم، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافق أعمالنا.

ونستغفره من كل خطرة دعئنا إلى تصنع وتزين في كتاب سطرناه، أو كلام نظمناه، أو علم أفدناه. ونسأله أن يجعلنا وإياكم معشر الإخوان بما علمنا به عاملين، ولوجهه مريدين. وأن لا يجعله وبالا علينا، وأن يضعه في ميزان الصالحات إذا ردت أعمالنا إلينا إنه جواد كريم.

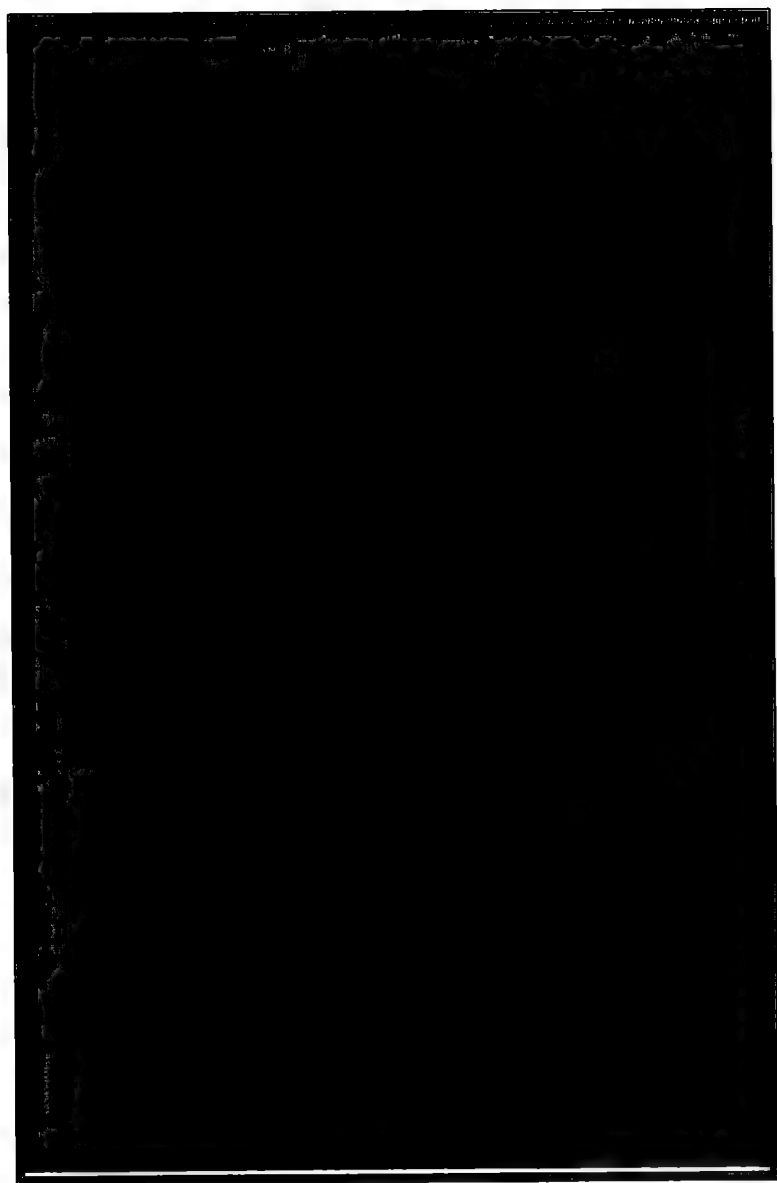
فهذا آخر ما أردنا أن نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الآخرة، وقد وفينا بالمقصود، وصلى الله على خير مولود دعى إلى أفضل معبود محمد صلى الله عليه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ثم السلام عليكم معشر الطالبين والعابدين عليكم منا ورحمة الله وبركاته ما قريء فيكم إلى يوم الدين.

تم وكمل والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات. اللهم انفعنا بمحبتهم، واحشرنا في زميرتهم، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

ثانيا : صور المخطوطين المعتمدين

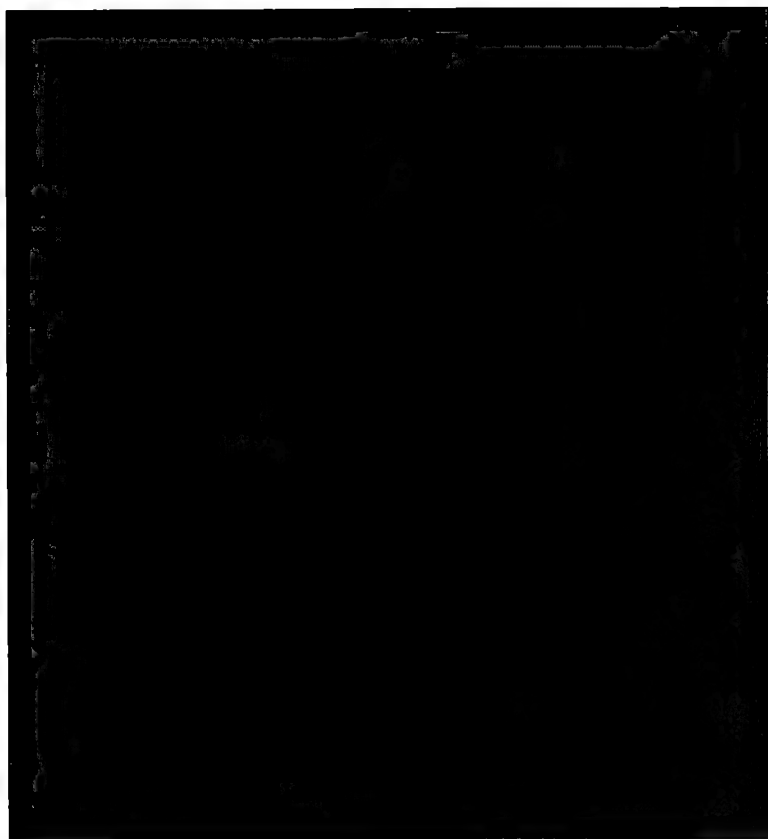


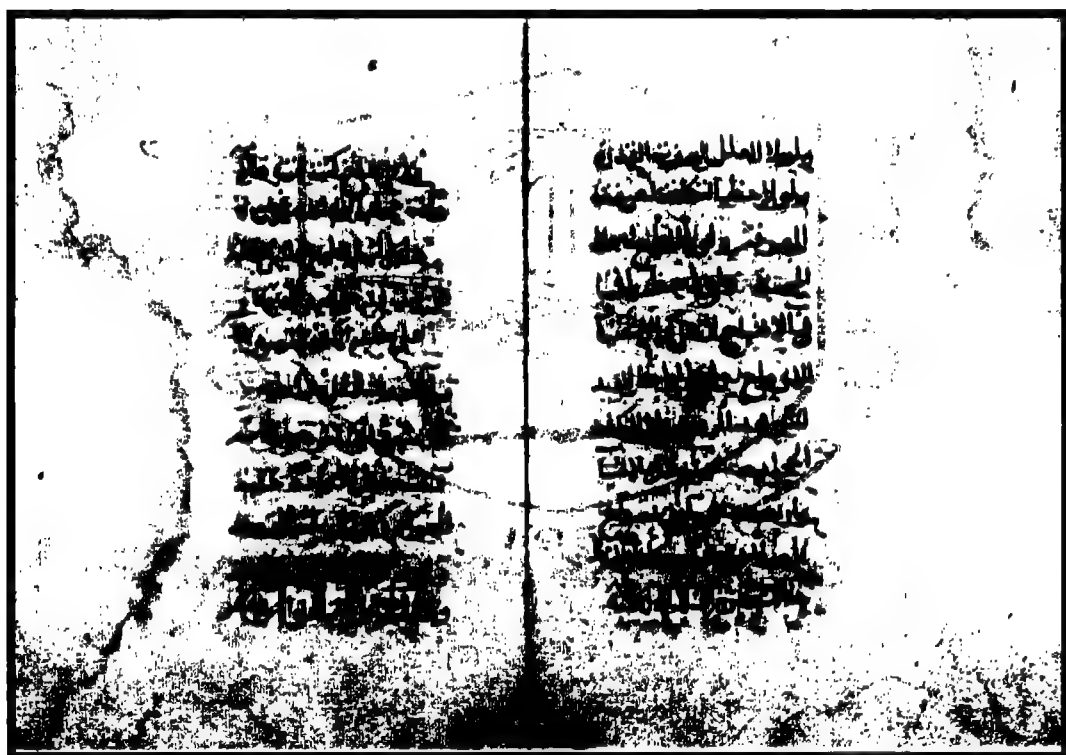
الصفحة الأولى والثانية من المخطوط - ب -



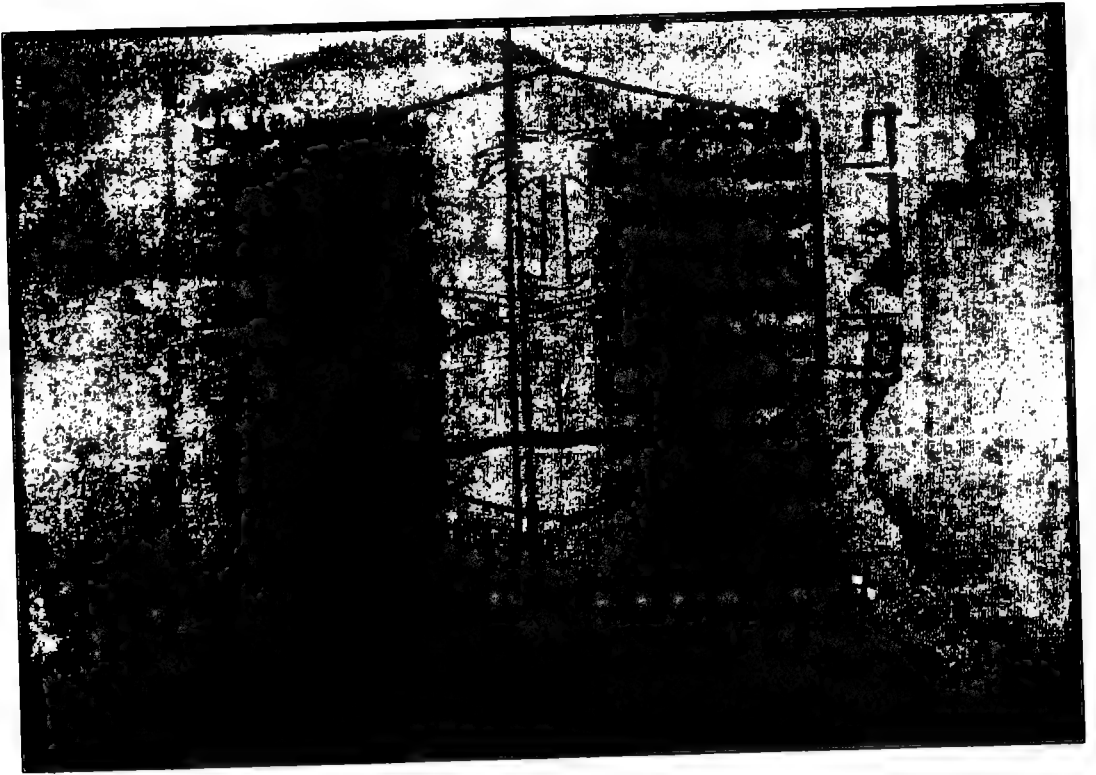


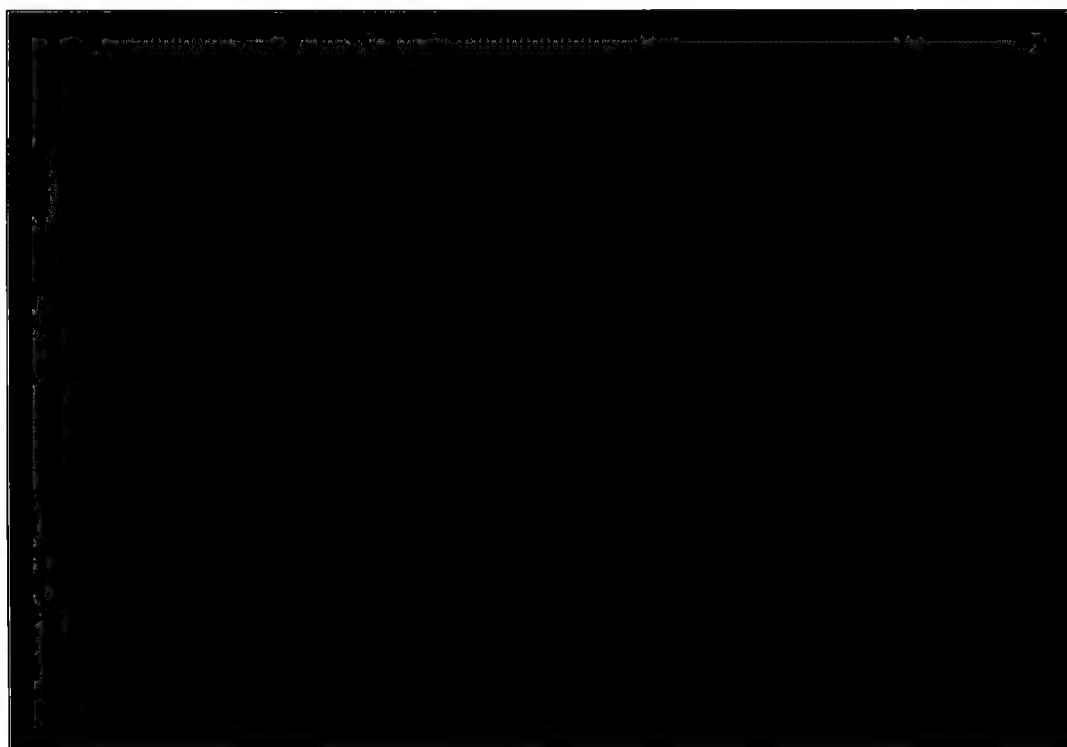
الصفحتان الأخيرتان من المخطوط - ب -



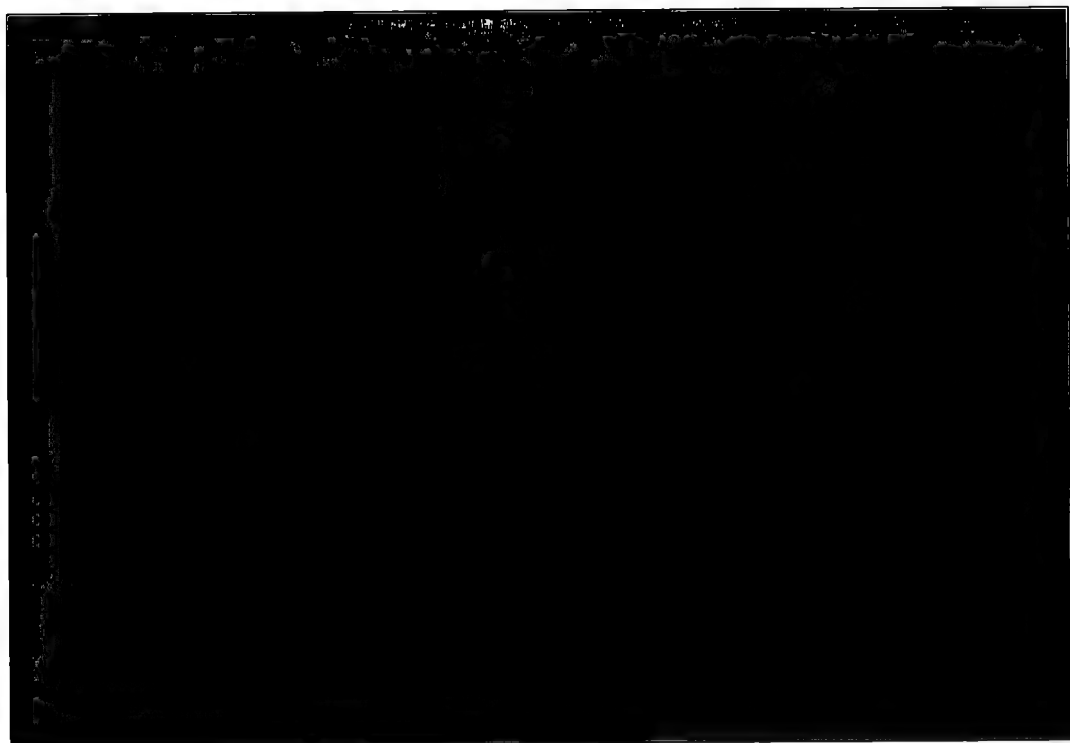


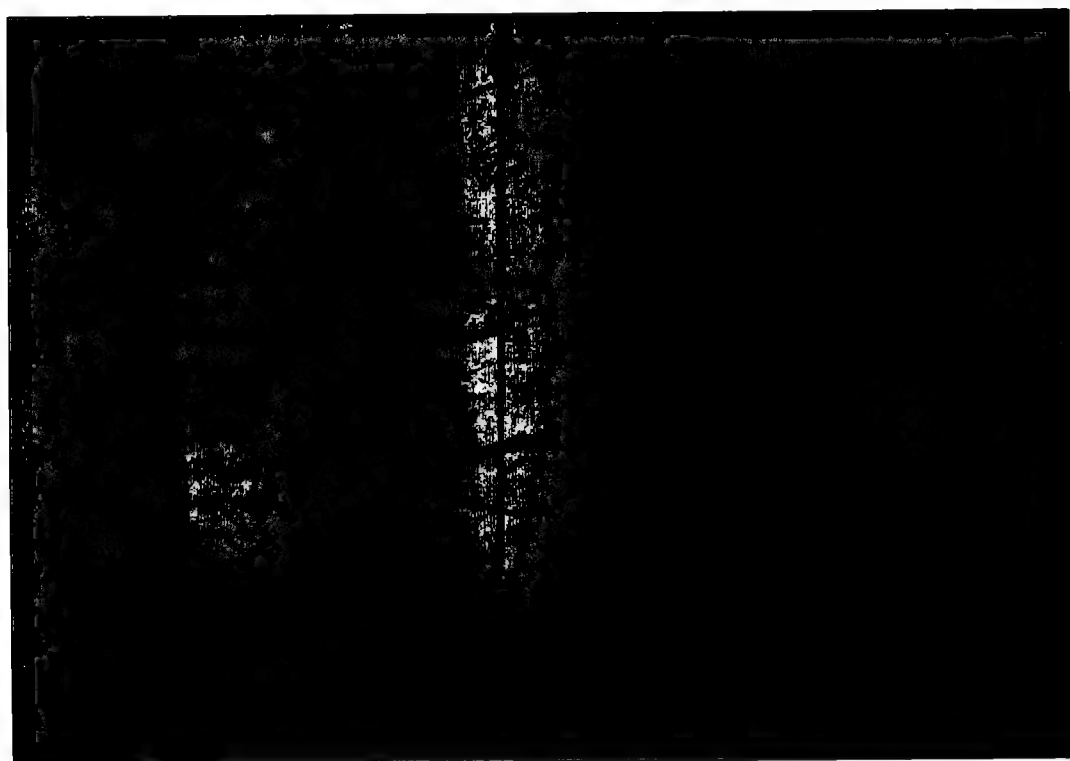
الصفحات الأولى من المخطوط - م -

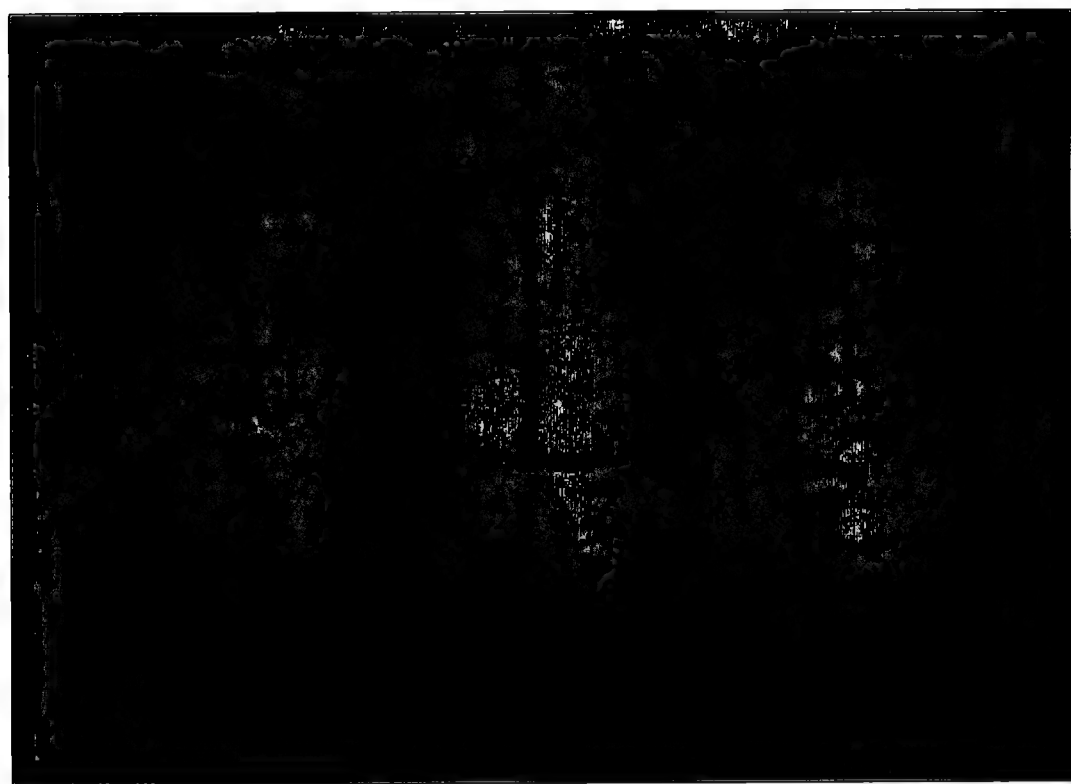




الصفحات الأخيرة من المخطوط - م -







ثالثا : ملحقات

ثالثا : ملحقات

**I - ملحق خاص بالسند الصوفي لابن العريف وتأثير مدرسته على
التصوف المغربي**

II - ملحق خاص ببعض الرسائل من وإلى ابن العريف

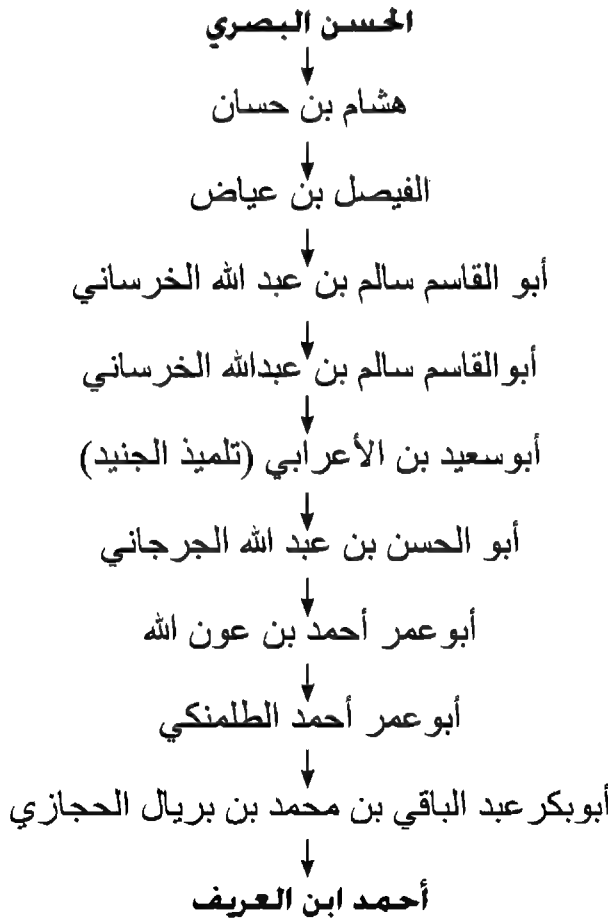
**III - ملحق خاص بالنصوص التي تشير إلى ابن العريف وآرائه
ونظراته الصوفية في الفتوحات المكية للشيخ الأكبر**

IV - ملحق خاص ببعض أشعاره

I : الملحق الأول

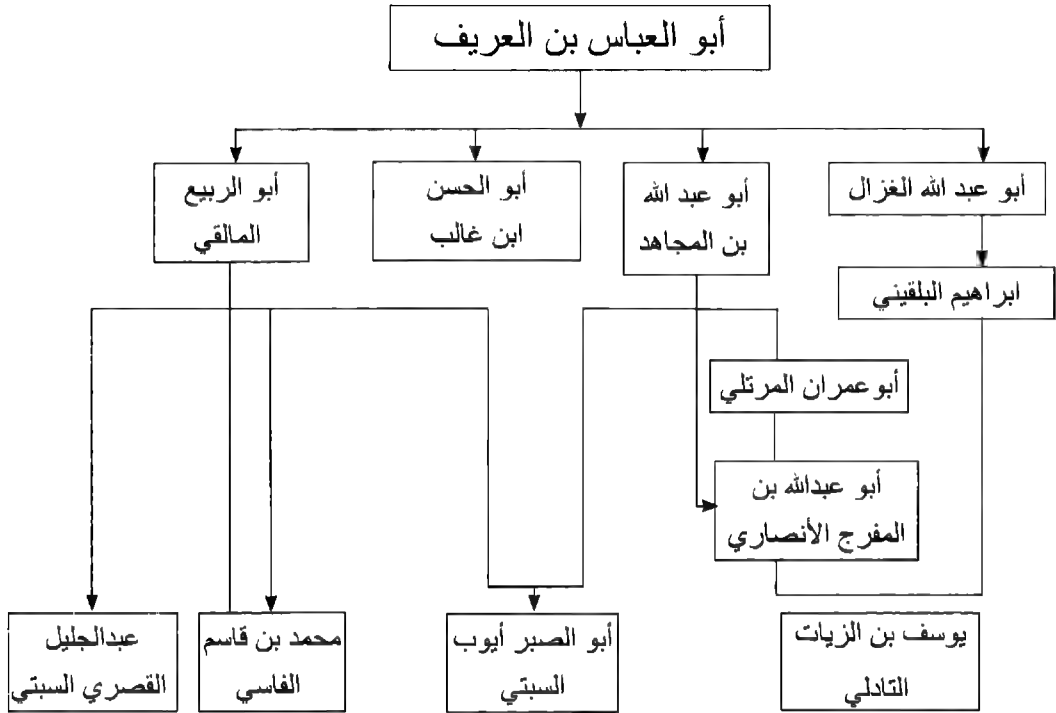
أ) السند الصوفي لابن العريف

وتلقيه المؤكد الثابت عن الأشياخ الآتية أسماؤهم وفق المخطط. (1)



(1) أنظر في ذلك «العباس بن ابراهيم» : «الاعلام بمن حل من الاعلام، ج2، ص19.

ب) مخطط عن الطريق الذي سلكته آراء مدرسة الأليمرية الصوفية الأندلسية إلى المغرب وأثرت في بعض مفكره المهتمين بالثقافة الصوفية.⁽¹⁾



(1) أنظر في ذلك «المدارس الصوفية المغربية والأندلسية»: د. عبد السلام غرميني ص484، ط1، دار الرشاد الحديثة 2000

II : الملحق الثاني

بعض الرسائل من وإلى ابن العريف

أ- بعض رسائله إلى أبي الحكم بن برجان :

1- « الفقيه الفاضل أبو الحكم كبيرى ..، أدام الله توفيقه، معظم حقه البرُّ به، أحمد ابن محمد، من لو وجد سبيلا لاتخذ في ذلك الكنف مقيلا. وإن قرب عملا لما صنيعه أملا، ولأمره ما أقام البارى سبحانه صحيح النية في كل الجهات صحيح العمل. والله الحمد والشكر على كل النعم، باطنا وظاهرا، عني وعن كل شيء. وأعود بالله من نعمة في طيها مكر، ونعم المعاذ من كل مكروه»⁽¹⁾.

2 - « الله ولي الشيخ الفاضل الإمام أبي الحكم وحافظه من البرية وليه في الله تعالى أحمد بن محمد (ابن العريف).

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وقد كان أمني قرب الدار وكر المزار، فمنعت الأقدار، ولا أدري أفي طيها الأعدار أم الأوزار، والرب يعلم ما يفعل ويعفو عن كثير.
شكايتي التي شكوتها إلى الشيخ الإمام قديما بحالها، وأعجب شيء فيها أني عرفت الداء والدواء منذ أربعين سنة أو نحوها، فما توانيت ولاتداويت، فالأحوال في الظواهر مجتمعة والأعدار في الحقيقة منقطعة.

(1) كتاب «مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة» تأليف «ابن العريف» جمعه «أبو بكر عتيق بن مؤمن» تحقيق «د. عصمت دندش» ط1، دار الغرب الإسلامي 1993، ص 108.

فأرغب أن لا أخلو من بال الشيخ ودعائه في توبة صالحة صادقة، وفراغ لإقامة غرض شافع نافع. فتح الله لي في مبرتك ونفعني بمعرفتك ومحبتك برحمته». (1)

«... اللهم صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكبيرتي، بوجود حقيقة المعرفة بك والتعرف منك. واجعله لمعالم طهارات النفوس زماما، ولأعلام الهوايات إماما، وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه، ونهايتها إليه.

كان من همي أن يصل كتاب الشيخ واحدي نظرا، ومتقدميه تسليما ومعتبراً، بما يتحرك له حامل براهين السمع مني حركة تحول بين النفس وهواها، وتورثها الحياة من مولاه؛ فوصل من ذلك دعاؤه وكتابه وخطه وإعلامه بالمحبة والمودة لي. وكل ذلك من آثار ما سألته، جل اسمه، ولم يكن عينه، فإني كنت أمل إشارة من إشاراته علمية أو عملية.

ولقد أشكل إشكالا باب من قبول البيان تفصيلا وإجمالا : كيف يداوي السكران أو يُداوى وسكره غالبه، وقد غفل صديقه واستيقظ مطالبه ؟.

اللهم إنها الحيرة من ضعيف لا عذر فيه، وجود لأقدرة عليه بالحكم إلا لضعيف مغرور.

اللهم يستترك لطافح السكر من حب الدنيا، مَيِّتَ الحقيقة عن رؤية مشاهد الأخرى، ليس له سواك رب يتولاه، ولا يجد من الجوارح إلا ما ملأه وغلبه هواه.

فإذا أزعجك إليك ما عندك من الجود، أزعجك عنك ما عنده من قبيح الوجود، فارحم وتجاوز عما تعلم. وافتح قلوبا قاسية بمفاتيح العناية فتحا تنظر به إليك ونستحي به منك.

وأنت يا إمامي برحمة الشيب اذكرني إذا رقدت عند من له رقدت، أَحَبَّكَ الذي أحببتني له.

والسلام مُعاد مكرر عليك، ورحمة الله وبركاته». (2)

(1) نفس المصدر، ص : 108-109

(2) نفس المصدر، ص : 109-110

ب - بعض رسائله إلى أبي الحسن بن غالب :

1- بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على ختم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين، وعلى السلف الصالح أجمعين، وعلى المتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد سلام على أخي أبي الحسن بن غالب رحمه الله وبركاته وعلى أهل بيته، إنه حميد مجيد.

... الناس في الدنيا إما محمول على كاهل الغفلة يرجى له التوفيق فيما بقي له من الطريق. وإما منظور إليه بعين العناية، ولا من أهل الدنيا فيستريح، فلا تكن يا أخي كذلك، واعلم أنه لا مطية إلى درك الحقائق والتقصي من شرك العلائق كالهم الصادق والحزن المتناسق. ولا أعلم أوحش من قلب فارغ من ذكر الله سبحانه، وأنا ذاك. فادع الله لنفسك ولأخيك ما استطعت، فإن المظاهر تنسلخ بانسلاخ الظاهر وهي الدنيا. وتبقى الحقيقة بقاء الحقيقة وهي الآخرة، دار ﴿الحيوان لو كانوا يعملون﴾. (1) ... (2)

2- « ... لا فرق بين الشكوى إليه والشكوى إلى من أمر به وخطى عليه، وإن أخاك لمتلذذ في السفلى، متردد حول السؤال. أجهل الناس بقدره، وأمثهم بطوية صدره، لا مع الباكين في مواقف الأحزان، ولا مع اللاهين في مواقع الأنس.

بعدت أنباؤك عنه، فوحشه بك طويلة، ولم يدر كيف حالك وحال إخوتك فمسرته قليلة وكلية، ما أشبه الليلة عنده بالبارحة، وأقرب اليوم من غد. فبالذي لك أسأله أسألك لا يمنعك من المخاطبة إلا مانع ضرورة، وأجعل من همك معنى كتابي في السالف؛ الذي لم يكن عليه جواب. وكنت في عام تسعة وعشرين (وخمسمائة) لم يصل إلينا في وجهه المشرق محبور بأنس، ولا محبور بطيبة نفس. فترادف الكرب

(1) العنكبوت، ص : 64

(2) مفتاح السعادة، ص : 111-112

حتى فتح الله سبحانه بأبي موسى (1) أخينا «وابن أبي موسى»، فكان بسط، نفعه الله ونفع به.

أخوك اليوم تلف، وتساوي عنده ماجهل وماعرف. وعقد على لسانه عقدة من ورائها تقف الحكمة، ومن دونها تطرد ينابيع غير العصمة. وأعجز الناس من استبكاك أخوه فرقد، وأعجز منه من استبكي وقعد. ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا عذر لمن ولي عن الذكر وجفاه ...» (2)

3- «... سمعت القاضي أبا علي الحسين بن محمد الصدفي (3) رحمه الله يقول : قال بعض العارفين : الحكايات جند الله، يثبت بها قلوب العارفين.

قيل له : فهل لذلك شاهد من كتاب الله ؟ فقال : نعم : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ (4)

... إذا بطنت الحكمة خست أهلها فدامت ونفعت، وإذا فشيت وظهرت عموما، أنكرها من ليس من أهلها فانقطعت وارتخت.

وفيما ظهر من الحجة كفاية لتعرف المحجة وما بطن من الذكر موقوف على خصوص أهل البر، عمل الخواص (5) ثلاثين سنة في تطبيب قلوب الخلق للفقراء. يريد أنه أدى إلى كل ذي حق حقه، وترك لكل أحد ما كان له قبله من حق. ووافق الحق لكل شيء من ظاهره وباطنه، ولم يخالف مخلوقا في ظاهر سلمه العلم وسامحته السنة ...» (6)

(1) لعله هو ابن مسدي الأندلسي، أورده الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء. ج 20 رقم 86 ص 133:

(2) مفتاح السعادة، ص 112-113

(3) وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية، من علماء الحديث استشهد في وقعة قنتندة سنة 514م. (ابن باشكول، الصلة رقم 330 ص 143

(4) هود : 120

(5) هو الشيخ ابراهيم بن أحمد اسماعيل أبو اسحاق، وهو من أقران الجنيد والنوري (ت 291هـ)

(6) مفتاح السعادة، ص 119 و 122.

4 - «...لو أن الأرض تطهرت من الجنايات على الدين وأهله لكانت جنة. ما من نفس على وجه الأرض إلا وهي مسلطة على المومن بضرب من التسليط، مسخرة له بوجه من التسخير، وعن روية نعمة التسخير فقد رقد عقله، ومن رقد عقله لعب عدوه به كيف شاء. والعبد سلطان نفسه عليه، هو سبب كل نفس عليه من جهتها يتصل إليه، فمن صدق في مجاهدتها حتى خافت، خافه كل ما وراءها من نفس. فليكن همك نفسك لا ما وراءها. فإن الظفر بها ممكن والفوز مبذول. وإن الله لم يخوف بالسيف إلا كافراً، ولا بالسوط إلا فاجراً فإن لم تكتمهما فلا تخافهما. والسلام عليكم ورحمة الله» (1)

ج - بعض رسائله إلى «أبي الحسن سيد المالفي» (2) حين سجن
«...سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته في وقت ضاق عن تفسير ما تظنه النفس من تأنيس لك، وتنفيس لك بك، فإن عجزني عن نفسي عرفني أني عن غيرتي أعجز، إلا ظنونا تجوز ولكن لن تجوز. ولو عرفت حقيقة حالي ما أنست إلى معرفتي بحالك، فإن المشاهد بحاله تكفيه أحزانه برعاية مالانجاة لي إلا برعايته، لكان رسمي رسم إخواني في حمايته وكفايته. ولكن سال سيل الفتنة ونحن طريقه، وغشى ليل المحنة وفينا فريقه، وانخسفت الأرض، وفيها المسيء والبريء فعمهم الله بالعدل في جاء، ويخص خاصتهم الفضل في يجيء حين يبعثون على نياتهم، ويحاسبون بخصائص حالاتهم. وإلى الله سبحانه الضراعة، ولرسوله (ص) الشفاعة، أن يكشف الأسوأ كشفاً يُميتُ الأهواء بكرمه وجوده.

وإني فكرت في السجن والمسجونين، فإذا هم طبقات وأمم مفترقات. فمن قائل:
﴿أَتَىٰ يَحْيَىٰ اللَّهَ هَذِهِ بَعْدَ مَوْتِهَا. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. قَالَ كَمْ لَبِثْتُ...﴾ (3)

(1) مفتاح السعادة، ص : 138

(2) هو عبد الله بن إبراهيم، كان شيخاً صالحاً وصاحب كرامات، كما كان إمام الصوفية ببلده. (ابن الزبير :

صلة الصلة رقم 185 ص 92)

(3) البقرة، ص : 259

وإنما سأل سؤالا فوقف مائة عام أدباً ونكالا، ثم لما بُعث بُدِءَ بالتوبيخ المبين، وعرف من أين مدرك العلم واليقين، وتلك علامة الحق سبحانه.

وقال آخرون : ﴿إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾. (1) فقيل بـ : ﴿إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾. (2)

ولقد كان جفاؤهم أظهر، فكان أمد عقابهم أقصر. وقال «الصديق» صلوات الله على نبينا وعليه : ﴿أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾. (3)

وإنما قصد مباحاً فسجن في سجنه وكان قبل ذلك سراجاً. وأما «يونس» عليه السلام فـ : ﴿أبق إلى الفلك المشحون﴾. (4) فسجنته القدرة في أعجب السجون، فاتصل حزنه لله تعالى في الرجاء بحزنه له في البلاء فاستنقذه من ألم البحر وأذاه : ﴿فلولا أنه كان من المسبحين. لبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾. (5)، ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾. (6) فكان في ندائه نجاة من الغم والأنين ونجاة كافة المؤمنين.

في بعض سير الملوك السالفة، كانوا إذا سجنوا عاقلاً قرنوا به جاهلاً وقالوا : إنما السجن سجن الأرواح لا سجن الأشباح، فلا أدري من أي الفرق أنت فأهنيك أو أعزيك. وظني أنه لو سجن خواطرك الوزن والحزن لتبرأ منك السجن والسجان، وقد يؤخذ الجار بجاره إذا عرف ولم ينكر كما ينبغي شؤم جواره، عصمك الله من الخفيات التي في طيها أو في غيها منكرة حق أو محق ومساعدته باطل أو

(1) المائدة : 24

(2) المائدة، ص 26

(3) يوسف : 42

(4) الصافات : 140

(5) الصافات : 143، 144

(6) الأنبياء : 87

مبطل، وإيائي وكافة إخواننا المسلمين برحمته ورأفته سنن الله في بلاده تنتهي إلى العمارات والخراب، وفي عبادة تدور على الثواب والعقاب. فلا تبطل سنة الله حق بسنة حق، فتعمل في السراب. وإذا مضت سنة الله عنه في شيء لم يجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، ومن عرف أن العقوبة سِرٌّ من أسرار الحق، لم يتحكم فيها عملاً ولا قِلاً، ومن انكشف له الصواب رآه أحسن تفسيراً وتأويلاً.

... وعليك بحسن التأويل، وتكلف ما يوافق السنة من الظن الجميل. يسر الله إن كان سجنك سراحك، وتكفل لك وإخوانك تكفل العناية بكم صلاحك بطوله. والسلام المعاد على جميعكم ورحمة الله وبركاته»⁽¹⁾.

(1) مفتاح السعادة، ص : 182

رسالته إلى محمد بن الكبش :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وسلم تسليماً.

سلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته.

بلغني يا أخي أن الله سبحانه كشف لك عن عالم تهتدي بأنواره، وتقتدي بآثاره فتحاً - يفتح الله لك بذلك من غير طلب ولا عن تعب ونصب إلا رحمة من الرحمن الرحيم، تولاك بها عناية بمن أراد، وإنفاذاً من مشيئته لما أراد، فهنيئاً لك رؤية العلماء بالله ولقاؤهم، أوزع الله شكر ما أنعم به عليك وعرفك الزيادة في كل دالٍ منه بعزته.

وأنت يا أخي ! فلو كشف لك عن سري وعانيت ضراعتي في لقاء عالم بالله يعلمني مما علمه الله ليكشف لي ! فسألتك بوجه الله العظيم وبحقه الكريم ألا ما ذكرتني عند عالمك !، فإن انتهرك بسقوطي من عيون العلماء فلا يمنعك ذلك من المعاودة عليه في شأني، والإلحاح في أمري فإن الصديقين قلوبهم رقيقة، وأطماعهم بوصول رحمة الله إلى المقصرين متعلقة وإن أغلظوا في القول، ولا تدع الرغبة في حالي حتى يصل إلي من العلماء بالله من يعلمني. عزيمة عزمها عليك بوجه الله العظيم، وبأخوة الإسلام والمرغوب الله على الحقيقة، هو الحق لا إله إلا هو.

رسالته إلى : محمد بن الحاج اللورقي⁽¹⁾ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله على نعمة الإسلام حمداً على الكمال والتمام كما ينبغي لوجه ذي الجلال والإكرام، ثم الصلاة على سيد الأنام وآله الكرام، صلاة فوق الأفهام والأوهام.

ورد كتابك السار البار - نفعتك الله به وجعله نوراً بين يديك تجده يوم لا يكون إلا صالح العمل حبيباً لك - وإني أحمد الله إلى من سمع حمد من فرق بعدما جمع، وأبعد بعدما أسعد، وما عسى أن يصنع العبد قيد في رايه فاستأثر سيده بقوى أربه، وإن أخاك لأقل حقيقة من أن يستنذر، أو يجني فيعتذر، أو يرضى فيعذر. فإن كنت ممن ترضيه المحامد جاءت فرافق العدم، ومحل الندم.

فيا فرصتي لسموك ونموك، وبما لله من النكايات لك في عدوك، ومع ذلك يا أخي فإن التقوى عند الغافل كلام، وعند العاقل ذمام. ومن لم تشهد له الحقيقة خاب، ومن نالها غاب، ومن انصرف صرف، ومن تعرف عرف، ومن لم يميز شأنه وزمانه ملك الباطل عنانه ومن لم يكن الكلب خيراً منه عند نفسه، فهو خير منه في الحقيقة، واستعن بالله فإنه لا يبقى أحد سواه.

والسلام المعاد عليك وعلى قرّة عيني بنيك وإخوانك ورحمة الله وبركاته.

(1) هو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري، أبو محمد بن الحاج ذو الوزارتين من أهل لورقة وسكن مرسية، برع في الأدب وكانت بضاعته وصناعته، واستدعي في سنة 528هـ للكتابة بحضرة مراكش فنهض إليها وانتهض بما حمل ثم استعفى فأعفي وانصرف إلى مرسية هاجراً خدمة الأمراء ومواصلاً صحبة الفقراء زاهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة وجعل يؤذن في مسجده. ولما اختلت دولة المرابطين بقرطبة ولاه أهل مرسية أمرهم فدعا لابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة أياماً من شهري رمضان وشوال من 539 هـ التي كثر بها الثوار.

ابن الأبار : المعجم، رقم 214 ص 233 وانظر عن ثورة المريدين كتاب الأندلس في نهاية المرابطين.

رسالته إلى : أبي علي منصور المبتلي بقرطبة جبرها الله
الله ولي أخي في الله تعالى أبي علي منصور وحافظه.
من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على محمد وعلى آله وسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

يا أخي عفا الله عنا وعافاك، وغفر لنا ورحمنا أحياء وأموات رحمة ترفع غضبه
ومكره، وتوجب رضاه وبره، وتكون لنا عصمة في حالتنا الغفلة واليقظة، وصلة
منه لدينا، تستر من وراءنا من الحفظ، وعمم إخواننا المسلمين بجميل اللطف
وجزيل العطف برأفته ومنته.

ورد كتابك، وعرفت محبتك، وحققت مودتك، بما نقل إلي موصل كتابك من
حسن بلاء الله لديك، وصفاء حنانه عليك. وسأحدثك حديثاً أرجو بركة وصوله
إليك : كان بالغرب عمره الله بالإسلام رجل يدعى أبا الخيار ⁽¹⁾ رحمه الله ونفعنا
بذكره، أصله صقلية وموطنه بغداد، وجاوز سنه التسعين وهو في الرق، لم يعتقه
مولاه وذلك عن قصد منه واختيار، وعمم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه
على مسافة بعيدة قال لي الذي حدثني : رأيته يصلي على الماء. قال : ثم لقيت بعده
محمد الأستجي فإذا هو أبرص، فقلت له يا سيدي كأن الله سبحانه لم يجد للبلاء محلاً
من أعدائه حتى أنزله بكم، وأنتم خاصة أوليائه، فقال : اسكت لا تقل كذلك إنه لما
أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئاً أشرف ولا أقرب إليه من البلاء،
فسألناه إياه، كيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد، وإمام الأولياء والأوتاد في
غار بارض طرسوس وجباله لحمه يتناثر وجسده يسيل قيحا وصديدا، وقد أحاط به

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميدي قرطبي استجى الأصل أبو محمد، سكن مالقة وكان
مقرنا مجودا فاضلا صالحا عفيفا دينيا محدثا واسع الرواية، ولي الخطابة والصلاة بجامع مالقة إلى أن توفي
577هـ. ابن عبد الملك. م. س، سفر 6، ص 100 ص 51، 52.

الذباب والدود والنمل ؟ فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من
الرحمة، وأسكن جسده من العافية، حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة الليل
حتى يطلع الفجر ؟ فأولئك بكرم الله وجوده يا منصور إخوانك في دار الصدق،
ونحن خدمتكم إن فزنا بشيء من رضى الحق.
والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالته إلى : أبي خالد بن عبد الجبار القرشي ⁽¹⁾ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه وذريته وصحابته.
سلام عليكم يا أخي وسيدي ورحمة الله وبركاته. وأسأل الله الذي لا إله إلا هو
أن يشرح بأنوار الهداية صدرك، ويرفع في أعلام الديانة قدرك، وأن يجعلك من
أئمة المتقين، ويكتبك في أول زمرة الفائزين السابقين، إنه الواسع الرحمة للعالمين.
ورد كتابك بعافيتك وسلامتك، نفعتك الله بهما وأوزعك شكرهما. وقبل وروده
بأيام ضاق صدري حتى هممت بالخروج إليكم، فأكون عندكم في مدة الصيف ثم
أنصرف إن كانت حياة، وسبب ضيق صدري، ترادف همي بحالي وأنها لا تزال في
نقصان، وتوهمت أن ذلك بسبب قعودي للصبيان، وكثرة رؤيتي لمن عرفني قديما
وعرفته، ثم تحققت إشفاق والدتي - رحم الله ضعفها ومثواها - لسفري، فأمسكت.
وحتى الآن لا أدري ما يتفق لي من ذلك فيما بقي من هذا الصيف، فإن النية لم تفتر
كل الفتور، وجعل الله لنا الخيرة في كل ما قصدناه من عمل عملناه، أو ترك تركناه
بمنه.

أَبَتْ وَخَشْتِي اتِّصَالاً وَشِدَّة	لِيَبِينَكُمْ وَالْبَيِّنُ يَكْدَحُ فِي الصَّذِرِ
وَكَاذَ فُؤَادِي أَنْ يَطِيرَ بِجَمَلَةٍ	إِلَيْكُمْ وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الْقَسْرِ
سَقَيْتُمْ مَاءَ الصَّدْقِ مِنْ مَشْرَبِ الْعُلَا	وَمَتَّعْتُمْ بِالْأُنْسِ فِي كَنْفِ الْبَرِّ
نَعْلَ امْرَأَةٍ فَاتَتْهُ رَاحَةُ قَلْبِهِ	إِذَا نَالَهَا أَحْبَابُهُ سَرَّ بِالْأَمْرِ

وإنما أسأل الله أن يحوطك بكل الجهات في المحيا والممات، وأن يعلي شأنك في
الصالحين، والحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على محمد خاتم النبيين،
والسلام عليك أخي وسيدي، وعلى كل من يجالسك أو يحبك ورحمة الله وبركاته.

(1) وهو أبو خالد يزيد بن عبد الجبار المرواني القرشي الذي تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم منهم ابن العريف. (ابن الأبار : التكملة ج 2، رقم 2/06 ص 742 هجرية 1887.

وسرني كل ماضمنته كتابك، نفع الله الجميع بعونه وقدرته. عرفت إن شاء الله فالزم، ولكن لا بد من رؤية عالم وصحبته، دل عليه الكتاب والسنة والقدرة، وأوجبه البرهان والحكمة. وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله وسنة رسوله في الصدور لا في الصحف، حتى كان العلماء يسمون صاحب علم الصحف صحفياً يعيبونه به.

نفعك الله بالجد، وكتبك في أهله، وجعل القلوب التي عمها رضوانه تحرص عليك وتشتاق إليك بمنه.

رسالته إلى : أبي بكر عياش ⁽¹⁾ رحمه الله ورضي عنه

الله ولي أبي بكر وحافظه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقفت على كتابك - نور الله قلبك - وكشف بسلطان الفهم عنه كربك وإن الله سبحانه لا يسأل عما يفعل، جعل العبد في هذه الدار في موضع الاضطرار، في محل الاختيار، وبلاه بالخير والشر فتنة، ولقيام حجة الاختيار، وقد انتهى إليك من ذكر ما جملة ستر الله عز وجل ورداء، عافية، ولو كشف وعرف لمحق أو تلف، فله الحمد على نعمه المسبلة وعوافيه المكملة، وعليه التكلان في إجابة الضعفاء المضطرين، ورحمة الله للفقراء المغترين، فإنه ولي من لا ولي له، بعزير سلطانه، وواسع إحسانه لا رب غيره ولا خير إلا خيره.

ويا أخي - بأخوة قديم الإسلام وجديد الزمام - كان عندنا رجل من الجند جديد العزة، شديد الغيرة، إذا أخذ أهله بأداب الإسلام، أطال الشوط ووضع السيف والسوط، وغفل عن قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا» ⁽²⁾ فأوجب ذلك نفارا وعن الحق إدبارا، وصير المناكرة قرارا، ولا بد في كل شيء خالف السنة من ذلك، فاتفق له مرض ألزمه الفراش وأحوجه إلى أهله حاجة الضرورة، فظهر له من شفقتها ورفقها ما حركه إلى التوبة فيها ضيع من حقها، وقيل له : أين العزة والغيرة ؟ فقال : يلبس لكل حالة لبوسها، فنفعه الله بعقله، وبما ظهر من رفقه، وجعل شغله في نفسه دونها، وكان له عمل صالح من صلاة ودعاء، فزال تنكد المرأة به، وتفرغت للنظر إلى أعماله، فنفعه الله بذلك، فكنه فإنه دواء لا بد منه.

والسلام على ولي ورحمة الله وبركاته.

(1) هو عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي سكن قرطبة وأصله من يابرة يكنى أبا بكر كان معتنيا بالقرآن الكريم وتجويد حروفه حسن الصوت به، متقنا أداءه، ضابطا له، أكتبه بقرطبة زمنا طويلا وأقرأه أيضا بجامعة الأعظم، فخرج على يده جمهور نبهاتها، وكان يؤم بمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة، ويجلس يوما في كل جمعة يعظ فيه الناس، وكان صالحا زاهدا متصاونا توفي 540 هـ.

ابن الزبير : م.س. رقم 309 ص 157، ابن عبد الملك : م.س. سفر 5 قسم 2 رقم 883 ص 486.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ج 1 ص 1163 العلم، وفي ج 10 ص 524 الأدب، وأخرجه مسلم في صحيحه ج 3 ص 1359 في الجهاد.

رسالته إلى : أبي محمد عبد الغفور⁽¹⁾ رحمهم الله

الله ولي الصديق أبي محمد عبد الغفور وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته عن حال عافية في النفس والأهل - والحمد لله رب العالمين - ومستطلعاً من حالك في ذلك وجميع من لديك من العيال والذرية والإخوة - أقر الله عينك بهم برحمته.

يا قرّة عيني والله، ومسرّة قلبي، وإن كنت لا أعرف أو أعرف، ولا أحسن أن أقوم بواجب ذلك كما ينبغي - نفعنا الله بالإسلام، وكتبنا في أهل الكمال من جملته والتمام بعزته، يعجبني في خاصتي وفيمن أحبه أن يبكي العبد خالياً حيث لا يطلع عليه إلا الله وحده لما يرى في نفسه من التقصير ويعرف عندها من العيب الكبير، فيشتغل بحاله عن سواه، ويلي الإنكار على كافة الخلق من تقلده من الحكام وغيره وتولاه، وله - إن شاء الله - في سعة العلم أن يعمل بذلك ويراه، ويقال أن إنكار الإنسان بحاله دون مقاله لكبار كبار الصديقين، وبحاله ومقاله جميعاً لمن دونه من المتقين، وبالمقال الصادق الذي اجتمعت فيه الأركان الأربعة : العلم الكافي، والرفق الوافي، والعدل الصافي والورع الشافي بفقهاء الصالحين، وإن لم يكن فريضة عين علينا، أن نكون هؤلاء فمن الفضيلة لنا أن لا ننكر حتى نشبه بأعمالهم، ونقارب، ولو بعض المقاربة في أحوالهم، والكمال في الجملة مندوب في الشرع إليه، محروس في كرم الهمم عليه.

(1) هو عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف السكوني من أهل لبلة يكنى أبا أحمد، روى عن أبي الحكم ابن بركان وأبي العباس بن العريف ورحل إليهما مراراً ولازمهما، وكان من أهل الكرامات وإجابة الدعاء. وكان ذا يسارينفق في سبيل الله على أهله وسائر الفقراء والضعفاء وتوفي ببلاط الشرق بعد أداء الفريضة، وكانت رحلته إلى المشرق في حدود 540 عند ابتداء فتنة المريدين والفقهاء بالأندلس إذ خرج فاراً منها. ابن الزبير : م. س، رقم 52 ص 37، 38 انظر كتاب الأندلس في نهاية المرابطين عن ثورة المريدين والفقهاء.

فأما الإنكار في العلانية على الحكام فإنه من فساد المنكر وإعلام ركوبه للحرام أو الكراهية، والمختار عند العلماء باتفاق منهم الإمساك عما في إنكاره إياه منكراً آخر مساوياً أو أشد، وهذا كله يكلمك به أخوك تكليم المذكر لا تكليم [ص 90] المبصر. فليكن من بالك على بركة الله سبحانه.

وإخوانك ما أجمل بهم أن يعرفوا لك حقاً : بالسن والعلم والإسلام السابق، وما أجمل بك إن قصرُوا أن تودهم بالرفق بهم، والإحسان إليهم تألفاً وتأليفاً، ودفعاً بالتّي هي أحسن طلباً للأفضل عند الله سبحانه، وتيسيراً لسلوك الطريق إليه على الضعفاء، وذلك بنص الكتاب كما علمت أفضل من اتفاق ملء الأرض ذهباً في سبيل الله عز وجل.

أغلب ظني أن الذي ورد في كتاب أبي الحسن خليل ⁽¹⁾ الإشارة إلى معرفة الفقهاء من غيرهم، وقد كتبت في ذلك، نفعك الله، ونفع أبا الحسن خليلاً وأقامكما في العلم بأنفعه مقاماً جليلاً، وجعلكما حجة من حججه في أرضه ودليلاً بكرمه. والسلام عليكم وعلى من يحبكما ورحمة الله وبركاته.

(1) هو خليل بن إسماعيل بن خلف بن عبد الله السكوني أخو صاحب الرسالة ويكنى أبا محمد وأبا الحسن، أخذ القراءات ببلده لبلة عن أبي الحسن بن أيوب السليحي، وبإشبيلية عن أبي العباس بن مسلم الدقاق، وأخذ العربية والآداب عن أبي عبد الله بن أبي العافية ورحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم بن النخاس وسمع من أبي محمد بن عتاب وابن مغيث - كان فقيهاً مشاوراً في الأحكام، وولي الصلاة والخطبة ببلده. ابن الأبار : التكملة، ج 1 رقم 840 ص 310.

رسالته إلى : أبي الحسن عامر بن الحسن ⁽¹⁾ رضي الله عنهما

بعد البسملة وما في معناها :

أما سؤالك عما تقرأه، فإنه ينبغي أن تعرف أن طريق الحق في الديانة لا يسلكها الواحد إلا وهو شيطان، وطريقه طريق باطل، ولم أجد في شيء أن العبد يتوجه إلى الطريق وحده، فيسلكها وحده، فيبلغ الغاية وحده، والعلم يخالف هذا أيضا، ويستبعده. فلا بد من مسموع من مسؤول عن موضع القدوة في مسائل الظاهر، ومسائل الحقائق جميعا، والمسموع منه إما عالم ! ولست أعرفه فأدلك عليه، وإما صاحب ! وهذا يوجد وإن قل، ولك إخوان لا شك عندي في شفقتهم، ورحمتهم، وإرادتهم الخير لأنفسهم وإخوانهم.

فاجعل من اتفق منهم وحضر مرأتك فانظر فيه وجهك، ووجه عملك، فربما فتح الله سبحانه لك من حيث لا تحتسب، واعلم أنه لا أعوان لك من إرادتك على إرادتك، أن تلقى الله سبحانه خاملا غير مذكور، راغبا في صلاح نفسك وصلاح كافة المسلمين، مقبلا على خاصتك، واقفا من العلم عند المشهور والمنصور، معرضا عن الشذوذ والرأي المبهور، وعليك من العلم بما يوجب عملا صالحا، ويصير خلقا حميدا، ويحقق التقوى في أول أحواله، ونهايتها. فإذا كتبت وقرأت كتاب يمن بن رزق ⁽²⁾ أو ما في معناه، وعكفت عليه وتفهمت فيه مع إخوانك واستعنت بالله على كل حال رجوت لك من عون الله سبحانه ما يبلغك ويجوب لك. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) هو عامر بن محمد الأنصاري من أهل طليطلة ومسكنه قرطبة ويكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم والعمل توفي بقرطبة 540 هـ.

ابن الزبير : م. س، رقم 302 ص 153، ابن الأبار : التكملة رقم 2429 (كوديرا).

(2) كتاب الزهد : ويمن بن رزق يكنى أبا بكر من أهل تطيلة وأصله من قرية قربها وهو من زهاد الأندلس القرن الثالث. ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس رقم 1613 ص 198.

رسالته إلى : أبي القاسم بن قسي⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله.
من ولي أبي القاسم بن قسي وحافظه من المكاره.
من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللهم إنا نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل، ونعوذ بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق. ونتوجه إليك بالدعوى في كنف البلوى إذا [سقطت] رسوم الحق ونعوت الصدق، ونتوسل إليك بالفقر إن لم تكن منك عناية والمكر.

اللهم ! إن الأولى بكرمك أن توسل إليك بما ليس بوسيلة، ونطالب قربك بمعاصيك براءة من كل حيلة، فلا تخيب رجاءنا ولا تكذب عناءنا، واستر علينا ما لا يستره إلا كرمك، واكشف من كربنا ما لا يكشفه إلا الطافك ونعمك.

اللهم! لا تقابل ما عندنا من مقتك بالزيادة ولا تعر إسلامنا وتسليمنا من كريم الإفادة، واجعلنا لك وحدك عاملين، وبك عالمين، يا أرحم الراحمين.

ذكر لي أبو محمد⁽²⁾ متحملة - أكرمه الله - أنك تعرفني باسمي، فشغلني فراغي عن معنك، وأن أتعرف منه كيف وصل مثلي إلى هناك. ورأيت خالص الثناء بأبي الوليد بن المنذر، عام الثناء بعد ذلك على الجملة - صان الله جميعهم - ورغب في

(1) هو أحمد بن الحسين بن قسي من المولدين من أصل مسيحي من بني قسي المعروفين في الثغر الأعلى والذين انتقل فرع منهم إلى غرب الأندلس وقد شغل منصب مشرف في الأعمال المخزنية في مدينة شلب، إلا أنه ما لبث أن تصدق بماله وابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب يجتمع فيها برمدييه، ثم ادعى الولاية وتسمى بالمهدي وقام بالثورة على المرابطين 539 هـ وانتهى أمره 546 هـ بمقتله - له كتاب خلع النعلين.

ابن الأبار : الحلة السيرة، ج 2 ص 197، ابن الخطيب أعمال الألام، ص 248 (بروفنسال) وانظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين ثورة المريردين.

(2) أبو محمد المواق.

ثلاثة كتب : أحدها إلى أبي الوليد ⁽¹⁾، والثاني لرجل سماه لي بمحمد بن سالم ⁽²⁾، فأجبتَه على ما كرهته أو أحببته، وحسبنا الله ونعم الوكيل. والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
كتبته عن صلاح ظاهر وعافية شاملة لي ولأهلي ولإخواني والحمد لله رب العالمين.

ووقفت من قبل قريبي أحمد - سلمه الله - عند منصرفه من تلك الجهة على عدة كراريس في فنون من العلم كتب فيها بعض كلامك وأجوبتك فسرني تمام فهمك، ونفوذ عزمك وإشرافك من علم الحقيقة على إنهاء كتاب متشابه، يصدق بعضه لبعض.

فالحمد لله الذي أبلغني عن أهل وقتي ما كنت أؤمله. وإني منذ ستة وعشرين سنة سألت رجلا من أهل القرآن والحفظ للموطأ والسياسة : كيف بأهل الانقطاع في العلم ؟

قال : غلب عليهم الاجتهاد والعمل وقل عندهم العلم والبحث.
فقلت : واحسرتي ! ثم ها أنا بلغني عن أناس بالمشرق والمغرب في وقتنا من مكث في حقائق العلم ما يسرني، من كان العلم همه وغمه. ومن أشد ما يمسنى بعد معرفتي بحالك وحال إخوانك لما في رؤية أحوالكم ومعرفتي بها من يقظة قلبي وحياة لبي فاعلمه.

والسلام عليك وعلى كل واحد ممن تحبه ويحبك مرددا، ورحمة الله وبركاته.

(1) أبو الوليد بن المنذر.

(2) محمد بن سالم الشلبي.

رسالته إلى : أبي الوليد بن المنذر⁽¹⁾ رحمه الله ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المسالمة - أعزك الله - وداد، والأرواح أجناد. وسببه أن أبا محمد⁽²⁾ متحمله
- أكرمه الله - قصدني قصداً ظاهره البر، والله أعلم بما ينطوي عليه السر، فوجب
له حق، وحصل بينه وبين من سواه فرق، فسألته عن بلده فذكره، وعد من أمر تلك
الخاصة إلى أمرك فنشره، وأعطاك من لسانه أفضل العطيات، والله ولي الخفيات.
وذكر [لي] أن برّك بها اتسع، تخطى البلاد وجمع، وزعم أنني عندك معروف
وبلسان المعرفة والستر موصوف، فنفعك الله يا أخي بصالح نيتك ووضع البركة
بتمامها في طويتك، ولم يخبرك عني مثلي، فلا تشتغل بي، فأنا لو عانيت ظاهري
لمقته، ولو كاشفت باطني لكنت له أمقت.

أنا منذ أربعين سنة أطالب نفسي بالاستواء والاستقامة، فما زادها طلبي إلا
الاستبداد، ولا أفادها إلا غلوا وفساداً، ولم نوت من شيء كما أوتيت ممن إذا مدح
مدح نفاقاً، وإذا قدح قدح شقاقاً. لا زلت في كنف العافية مع الحجة الصافية بحول
الله تعالى، وأعظم حاجتي رغبتك إلى الله تعالى وضراعتك لي في خمول تموت به
النفس، وتجهل في مثله الشمس مأجورا والسلام.

(1) هو أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر، أحد أعيان شلب من بيت قديم من المولدين، أخذ العلم في إشبيلية وتولى عدة مناصب قضائية كان منها خطة الشورى، وتميز بالمعارف الأدبية والفقهية، ثم تزهد وتصدق بماله وربط على ساحل البحر من رباط ريحانة بشلب.

ابن الأبار : الحلة السيرة، ج 2 ص 202 وانظر كتاب الأندلس في نهاية المرابطين، الجزء الخاص بثورة المرينيين.

(2) أبو محمد المواق.

أخبرني أبو محمد المواق⁽¹⁾ متحملة - أكرمه الله - أنك أشرت على أقوام بالأعواض فوهبوا لك، فأقبلوا على ما ينفعهم إقبالا حسنا، فوقع ذلك مني موقع الماء من غلة الظمأ، وذلك ظني بحالي منك حين سمعت الخبر، والله أعلم بما أحصاه من أمري. فإن سرك يا أخي أن ينتفع بك حبك الناس، فلا يكن شيء أحب إليك من تعلم المسألة فإن الصادق ينفع الناس بصدقه، والكاذب لا يتعداه كذبه، والمناكرة أعلق وليس معها تمسك ولا اعتلاق، وهي تقطع الأقوياء وتمحق الضعفاء. عصمنا الله من المكر، خفيه وجليه بعزته. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(1) لَمْ يَتَمِ الْإِهْتِدَاءُ إِلَى تَرْجُمَتِهِ.

III : الملحق الثالث

النصوص التي تشير إلى ابن العريف ومحاسن المجالس وبعض آرائه وأفكاره

الصوفية في الفتوحات المكية لابن عربي:

(1) « فِي نَظَرِ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي قُدْسِ الْأَبَدِ وَتَنْزِيهِهِ
وَعُلُوِّهِ عَنِ أَدْوَاتِ أَتَتْ تَلَحُّقُ بِالْكَيفِ وَتَشْبِيهِهِ
دَلَالَةٌ تَحْكُمُ قِطْعاً عَلَى مَنْزِلَةِ الْعَبْدِ وَتَنْوِيهِهِ
وَصِحَّةِ الْعِلْمِ وَإِثْبَاتِهِ وَطَرَحِ بَدْعِيٍّ وَتَفْوِيهِهِ »

اعلم أيديك الله أن جميع المعلومات علوها وسفلها حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى بغير واسطة، فلم يخف عنه شيء من علم الكون الأعلى والأسفل، ومن وهبه وجوده تكون معرفة النفس الأشياء، ومن تجليه إليها ونوره وفيضه الأقدس، فالعقل مستفيد من الحق تعالى مفيد للنفس. والنفس مستفيدة من العقل وعنها يكون الفعل وهذا سار في جميع ما يتعلق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه، وإنما قيدنا بالتي هي دونه من أجل ما ذكرناه من الإفادة وتحفظ في نظرك من قوله تعالى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾⁽¹⁾ وهو العالم. فاعرف السبب، واعلم أن العالم المبهم لا يستفيد من العقل الأول⁽²⁾ شيئاً، وليس له على المهيمين سلطان، بل هم وإياه في مرتبة واحدة، كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب، وإن كان القطب واحداً من الأفراد.

(1) محمد : 31.

(2) **العقل الأول** : عند الشيخ الأكبر هو : العقاب، والعلم (إصطلاحات ابن العربي) وهو عنده : أول خلق ظهر. ومن أسمائه القلم الأعلى، الحق المخلوق به، العدل، الإمام المبين، الحقيقة المحمدية، الدرة البيضاء، نور محمد، ومن الملاحظ أن كثرة هذه الأسماء ليست سفسة كلامية قوامها الترادف، بل هي ناشئة من اختلاف النظرة إلى هذه الحقيقة، ومن صلة هذه الوجوه بوجه حقائق أخرى.

لكن خصص العقل بالإفادة، كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية، وسار في جميع ما تعلق به على العقل، إلا علم تجريد التوحيد خاصة. فإنه يخالف سائر المعلومات من سائر الوجود ؛ إذ لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلفه البتة، وإن أطلقت المناسبة يوما عليه كما أطلقها الإمام «أبو حامد الغزالي» في كتبه وغيره، فبضرب من التكلف ومرمى بعيد عن الحقائق. وإلا فأني نسبة بين المحدث والقديم، أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل هذا محال. كما قال «أبو العباس بن العريف الصنهاجي» في «محاسن المجالس»، التي تعزى إليه : ليس بينه وبين العباد، نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فعمى وتلبس، وفي رواية «فعلم» بدل من قوله : «فعمى».

فانظر ما أحسن هذا الكلام، وما أتم هذه المعرفة بالله، وما أقدم هذه المشاهدة، نفعه الله بما قال، فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل والنفس، إلا من حيث أنه موجود تعالى وتقدس. وكل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات وغيرها، فانه سبحانه في نظر العقل السليم من حيث فكره وعصمته. بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم ولا يجري عليه ذلك المَفْطَعَة لا من الوجه الذي تقبله المخلوقات، فإن أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الأفهام لثبوت الوجود عند السامع، لا لثبوت الحقيقة التي هو الحق عليها. فإن الله تعالى يقول : ﴿ليس كمثله شيء﴾، ⁽¹⁾ ولكن يجب علينا شرعا من أجل قوله تعالى لنبيه (ص) : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ ⁽²⁾ .» ⁽³⁾

(1) الشورى : 11

(2) محمد : 19

(3) الفتوحات المكية 4/1 الباب III في تنزيه الحق تعالى، ص 92، 93.

(2) « لِلْإِبْتِدَاءِ شَوَاهِدٌ وَدَلَائِلُ
يَحْوِي عَلَى عَيْنِ الْجَوَادِ حُكْمَهُ
مَا بَيْنَهُ نَسَبٌ وَبَيْنَ إِلَهِهِ
لَا تَسْمَعَنَّ مَقَالََةً مِنْ جَاهِلٍ
مَبْنَى الْوُجُودِ حَقَائِقُ مَشْهُودَةٌ

وَلَهُ إِذَا حِطَّ الرِّكَابُ مَنَازِلُ
وَيَهْدُهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْفَاعِلُ
إِلَّا التَّعَلُّقُ وَالْجُودُ الْخَاصِلُ
مَبْنَى الْوُجُودِ حَقَائِقُ وَأَبَاطِلُ
وَسِوَى الْوُجُودِ هُوَ الْمَحَالُ الْبَاطِلُ

يقول لابتداء الأكوان شواهد فيها، إنها لم تكن لأنفسها، ثم كانت، وله الضمير يعود على الابتداء إذا حط الركاب ؛ أي إذا تتبعه من أين جاء، وجدته من عند من أوجده، ولذلك كان له البقاء، قال تعالى : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁽¹⁾. فإذا حطت عنده عرفت منزلته منه الذي كان فيها، إذ لم يكن لنفسه، وتلك منزل الأولية الإلهية في قوله : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾⁽²⁾. ومن هذه الأولية صدر ابتداء الكون، ومنه تستمد الحوادث كلها وهو الحاكم فيها وهي الجارية على حكمه ونفي النسب عنه. فإن أولية الحق تمت أولية العبد، وليس لأولية الكون امتداد لشيء. فما ثم نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأول. هذا مذهب القوم، وما بقي مما لم يدخل تحت حصرة هذه الثلاثة، فَعَمَى وتبليس، هكذا صرح به صاحب محاسن المجالس. وقول من قال مبني الوجود حقائق وأباطل ليس بصحيح، فإن الباطل هو العدم، وهو صحيح، فإن الوجود المستفاد في حكم العدم والوجود الحق، من كان وجوده لنفسه، وكل عدم وجد فما وجد إلا من وجود كان موضوعا به لغيره لا لنفسه، والذي استفاد هو الوجود لعينه⁽³⁾، وأما المحال الباطل فهو الذي لا وجود له لا لنفسه ولا من غيره»⁽⁴⁾.

(1) النحل : 96

(2) الحديد : 3

(3) يرى ابن عربي أن الوجود : وجود حقيقي : وهو الوجود المطلق، الوجود الصرف، وهو عين الوجود « ... الكل لله وبالله، بل هو الله » (فصوص الحكم ج 1 ص 83) وفي ذلك يقول : (الفتوحات ج 4 ص 100)

إنه الوجود لحرف أنت معناه وليس لي أمل في الكون إلا هو

وليس شيء سواه بل هو إياه الله أكبر لا شيء يماثله

فما ترى عين ذي عين سوى عدم

ووجود خيالي : هو الوجود الإضافي، المقيد، الإمكانى، المستفاد، المستعار.

(4) أنظر الفتوحات ج 1 ص 175 : (الباب الثاني والعشرون : في معرفة علم منزل المنازل ...)

(3) «ومن أسارهم أيضا علم الطبائع وتأليفها وتحليلها، ومنافع العقاقير يعلم ذلك منها كشافا. خرج شيخنا «أبو عبد الله الغزال» كان «بالمريّة» رحمه الله في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العريف أديب زمانه فهو بالأحرش بطريق الصّماد حيّة، إذ رأى أعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها، فتقول له الشجرة أو النجم : خذني فإني أنفع لكذا، وأدفع من المضار كذا. حتى ذهل وبقي حائرا من نداء كل شجرة منها تحديا له وتقربا منه، فرجع إلى الشيخ وعرفه بذلك. فقال له الشيخ : مال هذا خدمتنا، أين كان منك الضار النافع حين قالت لك الأشجار إنها نافعة ضارة ؟ فقال : يا سيدي التوبة !.

قال له الشيخ : إن الله فتنك واختبرك، فإني ما دلتك إلا على الله لا على غيره. فمن صدق توبتك أن ترجع إلى ذلك الموضع، فلا تكلمك تلك الأشجار التي كلمتك إن كنت صادقاً في توبتك. فرجع «أبو عبد الله الغزال» إلى الموضع، فما سمع شيئا مما كان قد سمعه، فسجد لله شكرا ورجع إلى الشيخ فعرفه فقال الشيخ : الحمد لله الذي اختارك لنفسه ولم يدفعك إلى كون مثلك من أكوانه، تشرف به وهو الحقيقة يشرف بك.

فانظر همته رضي الله عنه وإذا علم أسرار الطبائع، ووقف على حقائقها علم من الأسماء الإلهية التي علمها الله آدم عليه السلام نصفها، وهي علوم عجيبة لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة، رأينا أمرا هائلا، وعلمنا من سر الله في خلقه، وكيف يسر الاقتدار الإلهي في كل شيء. فلا شيء ينفع إلا به ولا يضر إلا به، ولا ينطق إلا به ولا يتحرك إلا به. وحجب العالم بالصور، فنسبوا كل ذلك إلى أنفسهم وإلى الأشياء، والله يقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (1) «....» (2)

(1) فاطر : 15

(2) الفتوحات المكية ج 1، الباب 37 في معرفة الأقطاب العيسويون، ص 228.

(4) - « ... فالرجوع إلى الله أولى في الأمور كلها كما قال [تعالى] : ﴿وَالْبَاقِيَ زَجَعُ الْأَمْرِ كُلِّهِ﴾ ⁽¹⁾. وهذا من جملة الأمر، فلا علم إلا العلم المأخوذ عن الله، فهو القائم سبحانه وحده، والمعلم الذي لا يدخل على المتعلم منه فيما يأخذ عنه شبهة، ونحن المقلدون له، والذي عنده حق. فنحن في تقليدنا إياه فيما أعلمنا به أولى باسم العلماء من أصحاب النظر الفكري، الذين قلدوه فيما أعطاهم. إنهم لا يزالون مختلفين في العلم بالله والأنبياء مع كثرتهم وتباعد ما بينهم من الأعصار، لا خلاف عندهم في العلم بالله، لأنهم أخذوه عن الله، وكذلك أهل الله وخاصته.

فالمأخر يصدق المتقدم ويشد بعضهم بعضاً، ولو لم يكن ثم إلا هذا، لكفى ووجب الأخذ عنهم، وهذا الباب أعني باب التوحيد يعطي المناسبة من وجه. وقد قال بذلك جماعة من أهل الله «كأبي حامد» وغيره من شيوخنا، ولا يعطي المناسبة من وجه. وقد قال به جماعة من أصحابنا «كأبي حامد بن العريف الصنهاجي» ونفوا المناسبة جملة؛ والذي أذهب إليه وأقول به ما أصلناه أو لا أن لا نقلد في علمنا بالله وبغير الله إلا الله. فنحن بحسب ما يلقي إلينا في حق نفسه، فإن خاطبنا بالمناسبة قلنا بها، حيث خاطبنا لا نتعدى ذلك الموضع ونقتصر عليه. وإن خاطبنا برفع المناسبة رفعناها في ذلك الموطن الذي فيه لا نتعداه، فيكون الحكم له لا لنا. فلا نزال نصيب أبداً ولا نخطئ، وهو المعبر عنه بالعصمة في حق الأنبياء عليهم السلام، والحفظ في حق الأولياء. ومتى مالم يخبر عن الله فالإصابة إذا حصلت منه للحق اتفاقية بالنظر إليه مقصودة، بالنظر إلى الحق، هذا هو الذي نعتمد عليه. فقله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ⁽²⁾ على زيادة الكاف رفع للمناسبة الشينية. وتمام الآية : ﴿وهو السميع البصير﴾ ⁽³⁾ إثبات للمناسبة والآية واحدة والكلمات مختلفة.

(1) هود : 123

(2) الشورى : 11

(3) الشورى : 11

فلا نعدل عن هذه المحجة، فهي أقوى حجة، وهي ما ذهبنا إليه من تقليد الحق، فإنه طريق العلم والنجاة في الدين والآخرة ؛ وهي طريق النبيئين والمرسلين والقائلين بالفيض (1)

(1) الفيض : «L'Emanation»

الفيض لغة : من فاض يفيض فيضا وفيوضة وفيوضا وفيضانا وفيوضوة، ويقال فاض الماء والدمع ونحوهما، إذا كثر حتى سال على ضفة الوادي، وجرى بسهولة، وفاضت العين فيضا إذا سالت. وقد يحمل الفيض معنى مجازيا فيدل على الجود والكرم والعطاء، ففيض وفياض واسع العطاء وكثير المعروف. (لسان العرب).

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بعدة معاني منها :

- السبيلة وسهولة الجريان، كما في قوله تعالى : «تفيض من الدمع». (المائدة : 83)

- والسير أو المشي الحثيث، كما في قوله تعالى : «أفيضوا من حيث أفاض الناس» (البقرة : 199).

- وكذلك بمعنى الجود والكرم والعطاء، كما جاء في قوله تعالى : «أفيضوا علينا الماء» (الأعراف : ص 5). والفيض عند الفلاسفة الإشراقين نظرية في الوجود ترى أن العالم قد صدر عن الله كما يصدر نور الشمس عن الشمس، وأول من قال بها الحل إشكالية علاقة الوحدة «الله» بالكثرة «العالم»، أفلوطين الإسكندري [م 270].

والفيض عند الصوفية يفيد التجلي الإلهي، فإن ذلك التجلي هيولاني الوصف، وإنما يتعين ويتقيد بحسب المتجلي، فإن كات التجلي لع عينا ثابتة غير موجودة يكون هذا التجلي بالنسبة إليه تجليا وجوديا فيفيد الوجود. وإن كان التجلي له موجودا خارجيا كالصورة المسواة، يكون التجلي بالنسبة إليه بالصفات، ويفيد صفة غير الوجود كصفة الحياة ونحوها. (التهاوني : ص 1127)

وعند الصوفية المتأخرين، صوفية وحدة الوجود، مفهوم الفيض يستخدم بمعنى تجلي النور الإلهي على الشؤون الإلهية، وهو النور الذي يظهر التعيينات المحتواة في غيب الذات، وهو السبب في ظهور الكثرة في الكون.

فابن عربي يرى أن الخلق تم بالتجلي أو بالفيض والجود الإلهي أو كما قال : طالما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها إحصاء «أن يرى أعيانها» وإن شئت قلت أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله، لكونه متصفا بالجود ويظهر به سره إليه : فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرأة [...] وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لأرواح فيه فكان كمرأة غير مجلوة ومن شأن الحكم الإلهي ما سوى محلا إلا ويقبل روحا إلهيا عبر عنه بالنفخ فيه ؛ وما هي إلا حصول الاستعداد من تلك الصورة المسواة لقبول الفيض التجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال. وما بقي إلا قابل والقابل لا يكون إلا من فيضه الأقدس. فالأمر كله منه ابتدأه وانتهاؤه، «وإليه يرجع الأمر كله»، كما ابتدأ منه. (فصوص الحكم : الفصل الأدمي ص 1 : ص 48 - 49).

ويشير ابن عربي إلى نوعين من الفيض أو الخلق بالتجلي الإلهي يمثلان مرحلتين من مراحل الخلق :

- الفيض الأقدس : L'effusion sacrosainte

وهو عبارة عن التجلي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعدادها في الحضرة العلمية ثم العينية، أي تجلي الحق لنفسه في صور أعيان الممكنات. (الفصوص. ج 2 ص 245).

- الفيض الأقدس : L'effusion sainte

وهو عبارة عن التجليات الأسمانية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج. أو هي التي فيها يكون تجلي الحق لنفسه في صور الموجودات من حيث وجودها في باطن الغيب المطلق. (نفسه).

من الإلهيين⁽¹⁾. فإذا جاءك من الله علم فلا تدخله في ميزان الفكر، ولا تجعل لعقلك سبيلا إلى ذلك، فتهلك من ساعتك. فإن العلم الإلهي لا يدخل في الميزان لأنه الواضح له..⁽²⁾

(5) «اعلم أن المعرفة نعت إلهي لا عين لها في الأسماء الإلهية من لفظها، وهي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد. والمعرفة عند القوم (الصوفية) محجة، فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك، فهو معرفة لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبهة، بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه والحيرة فيه، والقدرح في الأمر الموصل إليه. (...)

(...) في تسمية هذا المقام بالمعرفة وصاحبه بالمعارف، اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم والعالم :

طائفة قالت : مقام المعرفة رباني، ومقام العلم إلهي وبه أقول وبه قال المحققون : «كسهل التستري» و«أبي يريد» و«ابن العريف» و«أبي مدين».

وطائفة قالت : مقام المعرفة إلهي ومقام العلم دونه، وبه أيضا أقول. فإنهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة، وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم، فالخلاف فيه لفظي.

وعمدتنا قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا لِمَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.⁽³⁾ فسماهم عارفين وما سماهم علماء، ثم ذكر ذكرهم فقال : ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾⁽⁴⁾ ولم يقولوا إلهنا آمنا، ولم يقولوا علمنا ولا شهدنا، فأقروا بالاتباع، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾⁽⁵⁾، وما قالوا : نحن من الشاهدين، وقالوا : مالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع، ولم يقولوا :

(1) الإلهيين : أو الربانيين، فابن عربي يرى أن الألوهية تتفق والربوبية من حيث أنهما يطلبان المألوه والمربوب في مقابل الذات الغنية عن العالمين، والإلهيون هنا جاء بمعنى المفكرين والباحثين الذين خاضوا في موضوعات الألوهية، أو الربوبية وخاصة منهم السادة الصوفية، مثل «سهل التستري» وأبي يزيد البسطامي و«ابن العريف» و«ابن برجان» و«ابن العريف»....

(2) الفتوحات المكية 2/4، الباب 172 في معرفة مقام التوحيد، ص 290 - 291.

(3) المائدة : 83

(4) - (5) المائدة : 83

ونقطع أن يدخلنا ربنا. ولم يقولوا : ﴿إِلَهْنَا﴾ مع القوم، ولم يقولوا مع عبادك الصالحين كما قالت الأنبياء، فقال الله لهؤلاء الطائفة التي صفتهم هذه : ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ﴾ ⁽¹⁾ محل شهوات النفوس. فأنزلناهم حيث أنزلهم الله، وقد استوفينا القول في الفرق بين المعرفة والعلم في كتاب «مواقع النجوم....» ⁽²⁾

(6) - «اعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي، فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود، وفي الخبر بالمحب. ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة : «يَا ابْنِ آدَمَ إِنِّي وَحَقِّي لَكَ مُحِبٌ فَبِحَقِّي عَلَيْكَ كُنْ لِي مُحِبًّا» ⁽³⁾.

وقد وردت المحبة في القرآن والسنة في حق الله وفي حق المخلوقين وذكر أصناف المحبين بصفاتهم (...). فقال تعالى لنبيه (ص) : «قُلْ إِنْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» ⁽⁴⁾ (...) وقال في ذكر الأصناف الذين يحبهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ ويحب ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ويحب ﴿الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ويحب ﴿الصَّابِرِينَ﴾ (...). (...) وهذا ألطف ما يكون من المحبة ودونه حب الحب، وهو الشغل بالحب عن متعلقه. جاءت ليلي إلى قيس وهو يصيح : ليلي ليلي، وهو يأخذ الجليد ويلقيه على فواده فتذيبه حرارة الفؤاد، فسلمت عليه وهو في تلك الحال. فقالت له : أنا مطلوبك، أنا بغيتك، أنا محبوبك، أنا قرّة عينك، أنا ليلي. فالتفت إليها وقال : إليك عني، فإن حبك شغلني عنك. وهذا ألطف ما يكون وأرق في المحبة، ولكن هو دون ما ذكرناه في اللطف.

وكان شيخنا «أبو العباس العريني» رحمه الله، يسأل الله أن يرزقه شهوة الحب لا الحب. واختلف الناس في حَدِّهِ، فما رأيت أحدا حده بالحد الذاتي، بل لا يتصور

(1) المائدة : 85

(2) الفتوحات المكية 2/4 الباب 177 في معرفة مقام المعرفة ص ص 297 - 298 / 318 - 319

(3) الحديث

(4) آل عمران : 31

ذلك. فما حده من حده إلا بنتائج وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناح العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن «أبي العباس بن العريف الصنهاجي»، قالوا : سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال : الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد.

واعلم أن الأمور والمعلومات على قسمين :

منها ما يحد ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها المتكلمين فيها من الأمور التي لا تحد، فيعرفها من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ماهي ولا ينكر وجودها.

واعلم أن كل حب لا يحكم على صاحبه، بحيث أن يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه. ويعميه عن كل منظور سوى وجه محبوبه، ويخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه وذكر من يحب محبوبه، ويختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه، ويرمي قلبه على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه» (1).

(7) - «... وقد كان شيخنا «صالح البربري» بإشبيلية قد قال لي : يا ولدي إياك أن تذوق الخل بعد العسل، فعلمت مراده. وكان من أكبر من رأيته من المنقطعين إلى الله تعالى، بل المنقطعين ما رأيت على قدمه مثله. فجئت الشيخ بكرة وقلت له ما كان من منظوم نظمته إلهي، لا عن رؤية ولا تعمل. كما قال «أبو العباس بن العريف الصنهاجي» :

وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يَمَلُ سَمَاعُهُ شَهِي إِلَيْنَا نَشْرُهُ وَنِظَامُهُ (2).

(1) الفتوحات ج 2/4 الباب 178 في معرفة مقام المحبة، ص 322 و 325.

(2) وهذا من الشعر الذي ينسب إليه، أورده «العباس بن ابراهيم» في كتابه «الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام ج 2 تحقيق عبد الوهاب 1975 ص 23.

وكان النظم الذي عملته في حالي :

كَانَ مِثْلُ الْخَلِّ مِنْ بَعْدِ الْعَسَلِ	فَمَضَى الصَّبَاحَ عَنِّي وَأَفْلَ
وَبَدَتْ ظُلُمَةٌ لَيْلٍ حَالِكِ	أَوْرَثَتْ فِي الْقَلْبِ أَسْبَابَ الْعِلَلِ
قُلْتُ : رَبِّي. قَالَ : لَبَّيْكَ فَمَا	تَبْتَغِيهِ ؟ قُلْتُ : نُورًا بِعَمَلِ
عِلْمِ الْحَقِّ الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ	قَالَ : بَابٌ مَغْلُوقٌ. قُلْتُ : أَجَلِ
قُلْتُ : هَبْ لِي نُورَكَ الْخَالِصَ لِي	فَبَدَا النُّورُ بِلاَ ضَرْبٍ مَثَلِ
[تَجَلَّى] فِي سَمَائِي ثُمَّ أَرْضِي ثُمَّ مَا	بَيْنَ هَذَيْنِ إِلَى غَيْرِ أَجَلِ
وَالَّذِي يَفْهَمُ قَوْلِي قَدْ دَرَى	أَنِّي الْأَمْرُ الَّذِي مِنْهُ نَزَلَ

(8) - «... {حكاية} تتضمن وصية حدثني «أبو قاسم الجبائي»⁽¹⁾ بمراكش عن «أبي عبد الله الغزال» العارف الذي كان بالمرية، من أقران «أبي مدين»، و «أبي عبد الله الهوازي» بتونس⁽²⁾ و «أبي يعزى» و «أبي شعيب السارية» و «أبي الفضل اليشكري»، و «أبي النجا»، وتلك الطبقة. قال أبو عبد الله الغزال: «كان يحضر مجلس شيخنا «أبي العباس بن العريف الصنهاجي» رجل لا يتكلم ولا يسأل ولا يصحب واحدا من الجماعة، فإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج فلا نراه قط إلا في المجلس خاصة. فوقع في نفسي منه شيء، ووقعت منه على هيبة، فأحببت أن أتعرف به وأعرف مكانه. فتبعته عشية يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ، من حيث لا يشعر بي؛ فلما كان في بعض سكك المدينة، إذ ابشخص قد انقض عليه من الهواء برغيف في يده فناوله إياه وانصرف، فجذبتة من خلفه فقلت: السلام عليك، فعرفني فرد علي السلام فسألته عن ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف فتوقف. فلما علم مني أنني لا أبرح دون أن يعرفني، قال لي: هو ملك الأرزاق يأتي إلي من عند الله كل يوم بما

(1) الفتوحات المكية ج 3/4 الباب 348 في معرفة منزلة الأمة البهيمية والإحصار والثلاثة الأسرار ... ص 488.

(2) في الأصل: بتونس.

قدر لي من الرزق، حيث كنت من أرَضَ ربي، ولقد لطف الله بي في بدأ أمري ودخولي إلى هذا الطريق إذا فرغت نفقتي وبقيت بلا شيء، سقط علي من الهواء بين يدي قدر ما اشتري به ما أحتاج إليه من القوت فأنفق منه، فإذا فرغ جاءني مثل ذلك من عند الله، لكني ما كنت أرى شخصا. قال تعالى في حق مريم ابنت عمران : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا. قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا. قَالَتْ، هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ⁽¹⁾ « ⁽²⁾.

(1) آل عمران : 37

(2) الفتوحات المكية : ج 4/4 الباب 560 في وصية حكيمة ينتفع بها المريد السالك. ص 550.

IV : الملحق الرابع

أ - بعض قصائده ومقطعاته

أ - قصيدة في مدح خير الأنام محمد (ص) الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراط الله المستقيم. وهي مأخوذة كما ذكر صاحب «نفح الطيب» من كتاب ابن العريف المفقود «مطالع الأنوار ومنابع الأسرار».

1- « وحقك يا محمد »

وحقك يا محمد إن قلبي	بحبك قرية نحو الإله
جرت أمواه حبك في فؤادي	فهام القلب في طيب المياه
فصرت أرى الأمور عين حق	وكنت أرى الأمور بعين ساهي
إذا شغف الفؤاد به ودادا	فهل ينهاه ذكره ناهي
يهيم بذكره ويحن شوقا	حنين المستهام إلى الملاهي
يخامره ارتياح منه حتى	يقول أولو الجهالة : ذاك لاهي
وما هو حق فضل قد رآه	فصار يجد في طلب الملاهي
فسوف ينال في الدنيا سرورا	وفي الدار الأخيرة كل جاه
ويُعْطَى ما تمنى من أمان	كما قد حب محبوب الإله

(1) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، كتاب «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» ج 7 ص 197، تحقيق د، إحسان عباس دار صادر بيروت 1968م.

2 - « أَنْتَ مَلَاذِي »

يَا عَاذِلِي فِي طَلَابِي
سَأَعْمِلُ الْعَيْسَ شَوْقاً
إِلَى ضَرِيحِ رَسُولِ
أَشْدُو عَلَى كُلِّ فَجٍّ
يَا أَظْهَرَ الْخَلْقِ إِنِّي
فَاعَتِقَ الْيَوْمَ رَقِّي
فَأَنْتَ أَنْتَ مَلَاذِي
إِنْ غُبْتَ عَنْ عَيْنِ جِسْمِي
لَوْلَاكَ كُنَّا أَنْاساً
لِلَّهِ خَالِصُ شُكْرِي
فَأَنْتَ عِبْدُ سَوْءٍ

دَعْنِي مِنَ الْعَزْلِ دَعْنِي
بِالْعَزْمِ دُونَ التَّائِبِي
مُصَدِّقُ حُسْنِ ظَنِّي
حِينَ الْحَمَامُ يُغْنِي
بِذَلَّتِي عَبْدُ قُنٍّ
وَأَنْظُرُ بِعُظْمِكَ مِنِّي
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَغْنِي
مَا غُبْتَ عَنْ عَيْنِ ذَهْنِي
أَشْرَّ مِنْ كُلِّ جَنٍّ
عَسَاهُ يَضْفَحُ عَنِّي (1)
قَلْبُكَ ظَهَرَ الْمَجْنُنِّ

3 - « صَلَّى إِلَهُ عَلَى الْهَادِي »

صلى الإله على النبي الهادي
صلى عليه الله ما اسود الدجى
صلى عليه الله ما انبلج السنا
صلى عليه الله ما همع الحيا
صلى عليه الله ما هفت الصبا
صلى عليه الله ما ألف الكرى
صلى على المختار أحمد ربه
صل على خير الأنام محمد

ما لاذت الأرواح بالأجساد
فكسا محيا الأفق بزده جداد
فابيض وجه الأرض بعد سواد
فسقى البلاد برائح أو غادي
وشدا على فتن الأراكه شادي
جفن فخامره لذيد وقاد
ما استمسكت نار بطي زناد
من خصه بالنور والإرشاد

(1) المقرئ نفس المصدر، ص 498.

صلى الإله على رسول حاشِرٍ
صلى الإله على رسول عاقِبٍ
صلى الإله على رسول خاتم
صلى الإله على المقفى ما اقتفى
صلَّ على ماحي الضلال إلهه
صلى الإله على رسول فاتح
صلى الإله على نبي راحم
صلى الإله على نبي طالع
صلى الإله على نبي طالع
صلى عليه الله فهو نبيه
صلى عليه الله فهو رسوله
صلى عليه الله فهو خليله
صلى عليه الله فهو صفيه
صلى عليه الله فهو وليه
صلى عليه الله فهو المصطفى
صلى عليه الله فهو المجتبى
صلى عليه الله فهو المنتقى
صلى عليه من يراه مطهَّراً
صلى عليه من يراه بفضله
صلى عليه من أراه جلاله
صلى عليه من أحل فؤاده
صلى عليه من غذاه بنعمه
صلى عليه من كساه عوارفاً

حَشَرَ الأَنامَ لديه في الميعادِ
في الدهر وهو بفضله كالهادي
ختم النبوة بالكتاب الهادي
بشَرَّ نبوته بغير عنادِ
ما غردت طير على الأعواد
فتح الظلام بنوره الوقادِ
بالملة الغرَّاء بعد فسادِ
رحم الإله به من الإيعادِ
بملاحم قصمت فؤاد العادي
ناداه بالإرشاد خير مناد
أعطاه راية عَزَمَةٍ كُلِّ سدادِ
أسدى إليه منه كُلِّ سدادِ
صَفَّى سريره من الأحقادِ
وإلاه في الإصدار والإيسرادِ
من كل حُضار العباد وبإادي
يجبي إليه الخير دون نَفَادِ
نور الزمان وواحد الأحادِ
واختاره طوداً من الأطوادِ
وأعاده حيا لغير مَعَادِ
وأناله من ذاك كل مرادِ
في ظل عرش ثابت الأوتادِ
فتضاعفت كتضاعف الأعدادِ
واختصه منه بخير أيادٍ⁽¹⁾

(1) المقرئ نفس المصدر، ص 498.

1 - «بَرَقَ الْحَمَى»

نَصَافِحِ بِأَجْفَانِ الْعُيُونِ الْمَغَانِبَا مَتَى بَاتَ مِنْ سُمُرِ الْأَسِنَّةِ عَارِيَا سَمَاءَ وَمَاءَ الْوُرُودِ يَنْسَابُ وَادِيَا رَأَيْتَ سَنًا بَرَقَ الْحَمَى أَوْ رَأَيْتَا مِنَ الْحَسَنِ لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ بَالِيَا مِنَ الشَّوْقِ لَمْ يَفْقِدْ مِنَ الْبَيْنِ حَادِيَا ⁽²⁾	قِفَا وَفَنَفَةً بَيْنَ الْمُحْصَبِ وَالْحَمَى وَلَا تَنْسِيَا أَنْ تَسْأَلَا سُمُرَ اللَّوَى فَعَهْدِي بِهِ وَالْمَاءُ يَنْسَابُ فَوْقَهُ كَأَنَّ فُؤَادِي فِي فَمِ اللَّيْثِ كُلَّمَا أَقَامَ ⁽¹⁾ عَلَى أَطْلَالِهِمْ ضُوءَ بَارِقِ سَلَامٍ عَلَى الْأَحْبَابِ تَحْدُوهُ لَوْعَةُ
---	---

2 - «سَلُّوا عَنِ الشَّوْقِ مَنْ أَهْوَى»

أَذْنَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ نَفْسِ لَحْظِي وَسَمْعِي وَنُطْقِي إِذْ هُمْ أَنْسِ عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّغْبِ مُلْتَبِسِ صَخْرَا لَجَادَ بِمَاءٍ مِنْهُ مِنْبَجَسِ فَكَيْفَ قَرُّوا عَلَى أَذْكَى مِنَ الْقَبَسِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ فَنَسِ	سَلُّوا عَنِ الشَّوْقِ مَنْ أَهْوَى فَإِنَّهُمْ مَا زِلْتُ مَذْقِلِي أَصُونُ لَهُمْ فَمَنْ رَسُولِي إِلَى قَلْبِي فَيَسْأَلُهُمْ حَلُّوا الْفُؤَادَ فَمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطَّنُوا وَفِي الْحَشَا نَزَلُوا وَالْوَهْمَ يَخْرِجُهُمْ لَأَنْهَضُنَّ إِلَى حَشْرِي بِحُبِّهِمْ
---	--

2 - «إِذَا نَفْسِي أَنْابَتْ وَأَصْلَحَتْ»

غَرِيبٍ جَرَتْ مِنْ مَقْلَتَيْهِ غُرُوبٌ وَإِنْ غَلَبَتْهُ النَّفْسُ كَادَ يَذُوبُ إِلَى حَيْثُ لَا تَمْضِي الْعُقُولُ يَجُوبُ	بِنَفْسِي إِذَا نَفْسِي أَنْابَتْ وَأَصْلَحَتْ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْلَى تَنَسَّمَ قَلْبُهُ أَنَاخَ بَعْلَيْنِ زَائِدُ سِرِّهِ
--	--

(1) في الأصل : أفاع

(2) البلقيي : كتاب المقتضب ص 17

إِلَى شِعْبِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ تَصُوبُ
وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْأَنْامِ ذُنُوبُ
وَالَّذِينَ مِنْهُمْ أَلْسُنٌ وَقُلُوبُ

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَدْرِي ذَخَائِرَهُ الَّتِي
هُمْ حَسَنَاتُ الدَّهْرِ عِنْدَ كَمَالِهِ
مَحَبَّتُهُمْ فَرَضَ وَرُؤْيَتُهُمْ هَدَى

3 - «الْجُودُ شِيمَتِي»

وَمَالِي بِتَبْدِيلِ الطِّبَاعِ زَعِيمُ
فَحُلُو، وَأَمَّا حُبُّهُ فَقَدِيمُ
وَلَوْ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُقِيمُ
وَمَا ضَرُّ مِثْلِي أَنْ يُقَالَ عَدِيمُ
وَلَيْسَ لِمَقْبُوضِي الْيَدَيْنِ حَمِيمُ
كَرِيمٌ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ كَرِيمُ⁽¹⁾

تُعَاتِبُنِي فِي الْجُودِ وَالْجُودُ شِيمَتِي
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجُودِ، أَمَّا حَدِيثُهُ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعَاشُ بِعَيْشِهِ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ عَارٌّ بِأَهْلِهِ
أَرَى كُلَّ طَلْقٍ كُلَّ خَلْقٍ حَمِيمِهِ
وَكَيْفَ يَخَافُ الْفَقْرُ أَوْ يُحَرِّمُ الْغِنَى

4 - «ظَنِّي بِرَبِّي»

اللَّهُ أَعْلَمُ مَا أَبْدَى وَمَا سَتَرَ
ظَنِّي بِرَبِّي إِذَا مَا غَائِبِي حَضَرَ
فَاحْذَرُ أَوْ أَخِرْهَا لَا تَنْرُكِ الْحَذَرَ⁽²⁾

يَا مَنْ رَأَى ضَحْكَي عَيْبًا وَمَنْقَصَةً
الْمُخَنُّ أَوْلَهَا وَضَفِي وَأَخِرْهَا
وَأَنْتَ وَجْهَكَ يَتَلَوُّ لِلْوَرَى عِبْسًا

(1) وهي أبيات عارض بها الأبيات التالية لإسحاق الموصلي :

فَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِثْلِيهِ سَبِيلُ
بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ
إِذَا نَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يَسِيلُ
وَمَالِي كَمَا تَغْلَمِينَ قَلِيلُ
وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

وَأَمْرٌ بِالْبَخْلِ قُلْتُ لَهَا اقْصِرِي
أَرَى النَّاسَ خِلَانِ الْجَوَادِ وَلَا أَرَى
أَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمْتُهُ
فِعَالِي فِعَالِ الْمَكْثَرِينَ تَجْمَلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرُ أَوْ أَدْعُ الْغِنَى

انظر العباس بن ابراهيم : الأعلام، ج 2 ص 12.

(2) أورد هذه الأبيات التادلي مروية عن إسحاق السلمي عن الغزال، قال : كان الشيخ أبو العباس (ابن العريف) كثير البسط (مع أصدقائه) فعاب عليه ذلك بعض الناس، فرد عليهم بتلك الأبيات. أنظر «التادلي» التشوف ص 121 - 122.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المقطوعات

فهرس الآيات القرآنية

- 1 ﴿وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَدَّ لِفَضْلِهِ﴾ 66
- 2 ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ 67
- 3 ﴿... الدار الآخرة نجعلها للذين﴾ 68
- 4 ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ 68
- 5 ﴿يَا مُوسَى كُنْ لِي كَمَا أُرِيدُ أَكُنْ﴾ 71
- 6 ﴿مَسْنِي الضَّرِّ﴾ 73
- 7 ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مَشْفِقِينَ مِمَّا﴾ 76
- 8 ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ 78
- 9 ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ ...﴾ 80
- 10 ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ 80
- 11 ﴿أَنْفَكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ﴾ 81
- 12 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ﴾ 81
- 13 ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ﴾ 83
- 14 ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ 84
- 15 ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ 88
- 16 ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ 92
- 17 ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ 93
- 18 ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِِنْ رَمَيْتَ ...﴾ 93
- 19 ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ 93
- 20 ﴿وَإِنْ كَانَتْ إِلَّا صِحْحَةً وَاحِدَةً﴾ 93

94	﴿ألم تر إلى ربك كيف مَّدَّ الظل﴾	21
95	﴿وهو معكم أينما كنتم﴾	22
97	﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم﴾	23
97	﴿قل أي شيء أكبر شهادة...﴾	24
98	﴿إنا خلصناهم بخالصة بذكري﴾	25
98	﴿يا أيُّها النفس المطمئنة﴾	26
98	﴿وليلبي المومنون منه بلاء﴾	27
98	﴿إن الإنسان لربه لكونود﴾	28
99	﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾	29
99	﴿يخافون يوماً تتقلب فيه﴾	30
99	﴿ألم تر إلى ربك كيف﴾	31
99	﴿وما بتلك بيمينك يا موسى﴾	32
99	﴿فاستبشروا ببيعكم الذي﴾	33
99	﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾	34
99	﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾	35
100	﴿يا أيُّها النفس المطمئنة﴾	36
101	﴿قد أفلح من زكاها﴾	37
101	﴿فلا أقسم بالنفس اللوامة﴾	38
101	﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾	39
101	﴿ادخلوها بسلام﴾	40
101	﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾	41
101	﴿تحيتهم فيها سلام﴾	42
101	﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾	43
105	﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾	44

45	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	105
46	﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا﴾	106
47	﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ضَاكِكَةٌ﴾	106
48	﴿أَمْ مِنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	106
49	﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾	108
50	﴿خَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ...﴾	108
51	﴿لَنُفِثَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾	108
52	﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾	109
53	﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾	109
54	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾	110
55	﴿لَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ﴾	110
56	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾	110
57	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾	110
58	﴿وَلَتَنْتَظِرَ نَفْسٌ مَّا قَدِمْتَ لِغَدٍ﴾	110
59	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ﴾	110
60	﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾	110

فهرس الأحاديث النبوية

71 « يا موسى كن لي كما أريد... »	1
82 « فيها مالا عين رأت ولا أذن ... »	2
108 « خلق فيها مالا عين رأت... »	3
110 « شيبتي سورة هود... »	4

فهرس المصطلحات

- أ -

الأترج : ص 84

الإحسان : ص 80

الإرادة : ص 65

- ت -

التحقيق : ص 88

- ح -

الحب : ص 87

الحق : ص 92

الأحوال : ص 63 - 97

الحيرة : ص 92

- خ -

الخوف : ص 75

- ر -

الرجاء : ص 89

الرعاية : ص 79

الرؤية : ص 106

- ز -

الزهد : ص 67

- ش -

شرب : ص 88

الشوق : ص 93

- ص -

الصبر : ص 71

- ذ -

الذوق : ص 88

- ع -

عين الحقيقة : ص 99

- ف -

الفناء : ص 87

- ك -

الكرامات : ص 63 - 202

الكشف : ص 96

- م -

المحو : ص 87

المريدون : ص 68

المقامات : ص 99

- ه -

الهمة - الهمم : ص 63 - 96

- و -

الوجد : ص 101

فهرس الأعلام

- أ -

- م -

أبو يزید : ص 66 - 76

معروف الكرخي : ص 103

أيوب : ص 72

موسى : ص 10

يوسف : ص 84 - 172

- ر -

رابعة العدوية : ص 70 - 72 - 74

- د -

داود : ص 74

- ذ -

ذو النون : ص 108

- ش -

- الشاذلي : ص 76 - 77 - 94 - 95

- ض -

الضحاك : ص 99

- ع -

عيسى : ص 91

عتبة : ص 74

فهرس المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * مصادر الحديث النبوي الشريف
- * معاجم التصوف الإسلامي
- ابن القطان :
- * كِتَابُ نظم الجمان، تحقيق. د محمود علي مكي.
- ابن العريف (أبو العباس) :
- * مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تحقيق د. عصمت دندش ط 1 دار الغرب الإسلامي 1993.
- ابن الأبار (أبو عبد الله) :
- * التكملة لكتاب الصلة مجريط 1886.
- * المعجم في أصحاب القاضي، القاهرة 1967.
- * التكملة لكتاب الصلة نشر عزت العطار، القاهرة 1956
- ابن عبد المالك (أبو عد الله) :
- * الذيل والتكملة، السفر الأول، تحقيق د. محمد بنشريفية، بيروت (دت) والسفر الثامن 1984م.
- * الذيل والتكملة، السفر السادس تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1973.
- ابن بشكوال (أبو القاسم) :
- * الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها، الدار المصرية 1966
- ابن ابراهيم (العباس) :
- * الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام. الجزء الثاني 1974
- ابن العربي (محي الدين) :
- * الفتوحات المكية، دار الفكر دون تاريخ
- * روح القدس، نشر أسين بلاثيوس.
- * فصوص الحكم، تحقيق أبو العلا عفيفي ط، ح، بيروت 1980.

- ابن فرحون (برهان الدين).
- * الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)
- ابن خلكان :
- * وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس ج 1، بيروت 1968.
- ابن الزيات (يوسف بن يحيى) :
- * التشوق إلى رجال التصوف، تحقيق د. أحمد التوفيق، الرباط 1984.
- ابن الزبير (أبو أحمد أحمد) :
- * صلة الصلة، ذيل الصلة البشكوالية في تراجم أندلسية، أصدره نفي بروفنصال، الرباط 1977.
- ابن خير (الاشبيلي) :
- * الفهرسة، طبعة بيروت — بغداد، 1963.
- ابن الخطيب (لسان الدين) :
- * الإحاطة في أخبار غرناطة أربع مجلدات، تحقيق محمد عبد الله عنان ط، 2 الخانجي، القاهرة 1974.
- * روضة التعريف بالحب الشريف، جزءان: تحقيق محمد الكتاني دار الثقافة ط 1، الدار البيضاء 1970م.
- ابن سبعين (عبد الحق) :
- * رسائل ابن سبعين، الرسالة الرضوانية، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي القاهرة 1972.
- * بد العارف، تحقيق جورج كثورة، دار الأندلس ط 1، 1978.
- التنبكتي (أبو العباس أحمد) :
- * نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية لبنان (د.ت).
- الذهبي (شمس الدين) :
- * سير أعلام النبلاء ج 20 (د.ت).

- الششتري (أبو الحسن) :
- * ديوان الششتري، تحقيق أ.د. محمد العدلوني الإدريسي وأ. سعيد أبو الفيوض، ط 1 دار الثقافة، البيضاء 2008.
- الضبي (أحمد بين يحيى) :
- * بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي 1967.
- عبد العزيز (سالم) :
- * تاريخ مدينة ألميرية، بيروت 1969 م.
- عنان (محمد عبد الله) :
- * عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة 1964.
- عفيفي (أبو العلا) :
- * التصوف الثورة الروحية، دار الشعب، بيروت (د.ت).
- الغزالي (أبو حامد) :
- * إحياء علوم الدين خمس مجلدات، دار الفكر دون تاريخ.
- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم) :
- * الرسالة في علم التصوف، دار الكتاب العربي (د.ت)
- المراكشي (عبد الواحد) :
- * المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط 1 سنة 1978، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.
- مؤنس (حسن) :
- * الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى، مجلة المعهد المصري، مدريد 1981.
- المقرئ (أحمد بن محمد) :
- * نفح الطيب : تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1986.
- هويدي (يحيى) :
- * تاريخ الفلسفة الإسلامية في القارة الإفريقية، القاهرة 1966.

مصادر ومراجع بلغات أجنبية

- Asin Palagios (Miguel) :

* IBN Massara y su Escuela, Madrid 1914.

* Ibn AL Arif : Mahassin AL Majalis, Paris 1933:

- Dominique Urvoy :

* Une étude sociologique des mouvements religieux dans l'Espagne musulmane ... Paris 1972.

- Arman Cuvilier :

* Nouveau Vocabulaire philosophique, 2em edi

- Paul Nwyia :

* AL Machriq, XL e année fas 2 Mars-Avril.

فهرس الموضوعات

الاهداء I

الاهداء II

القسم الأول

مقدمة التحقيق

الفصل الأول : المؤلف

أولا : عصر ابن العريف التاريخي والفكري والتصوف في تجربته

- 11 1 - عصر ابن العريف التاريخي والذكري
- 16 2 - التصوف في عصر ابن العريف
- 20 3 - تجربة ابن العريف الصوفية

ثانيا : حياته وآثاره

- 27 1 - حياة ابن العريف
- 2 - أساتذته، تلامذته، آثاره :
- 30 أ - أساتذته
- 32 ب - تلامذته
- 35 ج - آثاره

الفصل الثاني : الكتاب موضوع التحقيق

- 39 أولا : الكتاب موضوع التحقيق
- 42 ثانيا : محتوى الكتاب

42	ثانيا : محتوى الكتاب
47	ثالثا : منهجية تأليف الكتاب
49	رابعا : قيمة الكتاب التاريخية والفكرية

الفصل الثالث : النسخ الخطية ومنهج التحقيق

55	أولا : وصف النسخ الخطية
58	ثانيا : منهج التحقيق

القسم الثاني

	أولا : النص المحقق : كتاب محاسن المجالس، أو بيان في مقامات السادة
62	الصوفية، لابن العريف الصنهاجي.
112	ثانيا : صور المخطوطين المعتمدين
	ثالثا : ملحقات
125	ملحق I : خاص بالسند الصوفي لابن العريف وتأثير مدرسته على التصوف المغربي
127	ملحق II : بعض الرسائل من وإلى ابن العريف
	ملحق III : ملحق خاص بالنصوص التي تشير إلى ابن العريف وآرائه ونظراته
148	الصوفية في الفتوحات المكية لابن العربي.
159	ملحق IV : ملحق خاص ببعض أشعار ابن العريف
164	الفهارس